

**الاستلاب الفكرى والثقافى فى العالم العربى**

**”رؤية تربوية”**

**إعداد**

**أ.م.د/مديحة فخرى محمود محمد**

**أستاذ مساعد بكلية التربية جامعة حلوان**

**٢٠١٩**

## مستخلص البحث

يعيش العالم المعاصر ثورة معرفية ومعلوماتية نتيجة التقدم الهائل في التقنيات الحديثة، والذي جعل عملية نقل المعلومات والحصول عليها يتم بسرعة فائقة، وقد ترتب علي ذلك ضعف القدرة علي وضع القيود أمام حركة الفكر والثقافة؛ حيث أصبح انتقالها يتم بمنتهى اليسر والسرعَة. لذا فقد أصبح بإمكان أي إنسان استقبال أية ثقافة والتأثر بها؛ فلم يعد لدى الفرد القدرة علي منع تلك الثقافة من اقتحام حياته؛ حيث تحطمت كل الأسوار والحواجز بفعل ثورة المعلومات وتقنيات الاتصال التي تنذر بعصر جديد وثقافة جديدة، هذا العصر الذي من أهم ملامحه انحسار الخصوصيات الثقافية والاجتماعية فيه وتقلص الحدود السياسية والثقافية والاقتصادية والمعرفية بين الدول .

تساؤلات الدراسة وأهدافها:

- ١- ما مفهوم الاستلاب في الأدبيات التربوية المعاصرة؟
  - ٢- ما أهم عوامل الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي؟
  - ٣- ما انعكاس الاستلاب الفكري والثقافي على التربية في العالم العربي؟
  - ٤- ما الرؤية التربوية المقترحة لمواجهة الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي؟
- منهج الدراسة

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ للوقوف على مفهوم الاستلاب وأهم عوامله في العالم العربي، ومن ثم تقديم رؤية تربوية لمواجهة.

وقد تعرضت الدراسة لعوامل الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي بشيء من التفصيل حيث ترى أنها تتمثل فيما يلي:

- ١- العولمة وتدايعاتها
  - ٢- تفوق الغرب
  - ٣- الاستبعاد والتهميش الاجتماعي
- وقد قدمت الدراسة في نهايتها رؤية تربوية مقترحة لمواجهة الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي

والتي تضمنت عددا من العمليات وآليات تحقيق الرؤية المقترحة، وهي :  
 النهوض بالتعليم والبحث العلمي، وتعزيز الهوية، تنمية الوعي الاستهلاكي السليم وتعظيم قيمة العمل والإنتاج، ودمج الفئات المستبعدة والمهمشة، والتربية الإعلامية

## **Abstract**

The contemporary world is experiencing a knowledge and information revolution as a result of the great progress in modern technologies, which made the process of the transfer and access of information take place very quickly, and this has resulted in the weak ability to place restrictions on the movement of thought and culture, where its transmission is made very easily and quickly. Anyone could now receive any culture and be influenced by it, as the individual no longer has the ability to prevent that culture from breaking into his life, where all the walls and barriers were destroyed by the information and communication technologies revolution that portends a new era and a new culture, the era which the decline of cultural and social privacies is one of its significant features as well as the diminishing of political, cultural, economic and cognitive boundaries between states.

## **Study questions and objectives :**

- 1-What is the concept of alienation in contemporary educational literature ?
- 2-What are the most important factors of intellectual and cultural alienation in the Arab world ?
- 3-What is the reflection of intellectual and cultural alienation on education in the Arab world?
- 4-What is the proposed educational vision to counter intellectual and cultural alienation in the Arab world ?

The study used the descriptive analytical approach to identify the concept of alienation and its most important factors in the Arab world, and then provided an educational vision to confront it ?

The study covered the factors of intellectual and cultural alienation in the Arab world in some detail as it considers that it is represented in the following :

1. Globalization and its implications
2. The superiority of the West
3. Exclusion and social marginalization

At the end of the study, the study presented a proposed educational vision to counter intellectual and cultural alienation in the Arab world .

Which included a number of processes and mechanisms to achieve the proposed vision, this is include: Promoting education and scientific research, promoting identity, developing sound consumer awareness, maximizing the value of work and production, integrating excluded and marginalized groups, and media education .

## مقدمة البحث

شهد العالم ولا يزال العديد من التحديات والمتغيرات العالمية التي أصبحت واقعا فرض نفسه على كافة المجتمعات، ومن أهم هذه المتغيرات ما اصطلح على تسميته بالعولمة التي ذابت فيها الحدود الجغرافية والثقافية، وأصبحت بأبعادها وتحدياتها المتعددة وكذلك نظمها وأهدافها المعلنة وأيضا الخفية عنصرا محركا وأداة تغيير إجبارية فرضت على العالم أجمع في كافة مجالات الفكر الإنساني والاجتماعى والثقافى والسياسى والاقتصادى. وقد عملت العولمة على صهر العالم في بوتقة حضارية واحدة، وهو ما أدى إلى تغير في علاقة الإنسان بواقعه وبالأخرين من جهة، وبتاريخه وميراثه الحضارى والثقافى من جهة أخرى.

وتنوعت وجهات النظر تجاه العولمة ما بين معارض ومؤيد لها، وعلى الرغم من هذه الرؤى فإن الأمر الذي لا جدال ولا اختلاف فيه أنها أصبحت أمرا واقعا، نتيجة للفضاء المفتوح وزوال الحواجز والحدود الثقافية وبداية تشكل نظام اجتماعي عالمي يحدد المعالم الرئيسة للقيم واتجاهاتها، وكذلك ما أوجدته من سوق مفتوح يعتمد على الربح والمنافسة والقدرة على التكيف السريع في المجالات المعرفية والتكنولوجية.

وقد صاحب العولمة وعزز من وجودها ثورة الاتصالات والمعلومات، التي كان لها انعكاسات خطيرة على النظم الثقافية والفكرية في كثير من المجتمعات وخصوصا المحافظة منها، ونتيجة لذلك أصبح الصراع بين الدول ليس عسكريا مسلحا، وإنما صراعا حضاريا وثقافيا وسياسيا، ويحتل الصراع الثقافى الفكرى مقدمته.

فالثورة المعرفية على الرغم من أنها أتاحت فرصاً كبيرة، فإنها فرضت مع ذلك تحديات أكبر، ومن بين هذه التهديدات أن الغرب- وهو العنصر الفاعل والأقوى- لما يتوفر له من إمكانيات مادية وتقنية عالية بات يصدر للعالم ثقافته وفكره وفلسفته عن الإنسان والمجتمع والكون. وما يزيد من خطورة ذلك هو البون الشاسع بين الغرب المتقدم تكنولوجياً ومعرفياً وبين الشرق المتأخر في تلك المجالات، فالأول منتج لها والثاني مجرد مستهلك، وفرق كبير بين الحالتين .

وتشكل هذه الفجوة بين كلا المجتمعين خطرا على المجتمعات النامية، والتي تميل في الغالب إلى تقليد المجتمعات الأكثر قوة، كما تؤدي إلى حالة من الانبهار بالغرب، هذا الانبهار الذي غالبا ما يتخذ شكل التقليد والاتباع من جانب المجتمعات الأقل تقدما، وهيمنة وسيطرة من جانب المجتمعات المتقدمة والتي تمثلها هنا المجتمعات الغربية، وهذا الوضع هو ما أدى إلى إشاعة نمط جديد من الحياة في المجتمعات الأقل تقدما، حيث الميل إلى النموذج الغربى وتقليده في أدق الأمور الاجتماعية والثقافية والتي تتعلق بخصوصية المجتمع بل وحتى في لغته .

ويرى طالب أنه في غمار الثورة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية يضع المعنى وتتغير بشكل كبير حقيقة وجوهر العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وبين الفكر وموضوعه، وبين العقل والأدوات والمناهج والمواد التي يستخدمها ومضمون التجربة العملية الإبداعية لترجح كفة العناصر المادية، كما يتحول العقل الكلى إلى عقل أداتى، ويغلب على الإنسان الممارسات المادية للإنتاج والتكنولوجية الحديثة، كل ذلك يؤدي إلى مفهوم التثبيؤ والاعتراب ليهدم إنسانية الإنسان ويعلن موته.

كما يرى أن ظهور هذا المتغير العالمي الجديد صاحبه العديد من الدعوات والصيحات لمواجهة تبعاته وخاصة الثقافية لما يمثلته من استلاب لشخصية وعقل الإنسان العربي، والذي عضد منه عوامل عدة زادت قوة وتأثيرا منها تفوق الغرب العسكري والعلمي والاقتصادي والسياسي والثقافي السالف الذكر، وبما أثر بشكل كبير على الإنسان العربي والبنى الاجتماعية والفكرية له. ويعد الاستلاب الفكري والثقافي هو أخطر ما يواجهه في هذه الأونة. (طالب، محمد سعيد، ٢٠٠٠، ص ٧)

ولأن العالم العربي الآن ليس في موقف القوة، أصبح الاستلاب الفكري والثقافي للإنسان العربي هو الموقف السائد، وهذه الحالة كان لها أكبر الأثر على الشخصية العربية ومن ثم التربية العربية؛ وهو ما أكده مجاهد الذي يرى أن هناك شعورا بالاعتراب نشأ نتيجة استيراد نماذج ثقافية غربية أدت في كثير منها إلى ضعف الانتماء. ويرى أن العولمة كانت من أهم المتغيرات العالمية التي أدت إلى ذلك. وهو ما جعله يؤكد على ضرورة بلورة استراتيجية تربوية للاستفادة من إيجابياتها والتقليل من سلبياتها. (مجاهد، محمد إبراهيم عطوة، ٢٠٠١، ص ١٥٧)

#### مشكلة الدراسة

يعيش العالم المعاصر ثورة معرفية ومعلوماتية نتيجة التقدم الهائل في التقنيات الحديثة، والذي جعل عملية نقل المعلومات والحصول عليها يتم بسرعة فائقة، وقد ترتب علي ذلك ضعف القدرة علي وضع القيود أمام حركة الفكر والثقافة؛ حيث أصبح انتقالها يتم بمنتهى اليسر والسرعة. لذا فقد أصبح بإمكان أي إنسان استقبال أية ثقافة والتأثر بها؛ فلم يعد لدى الفرد القدرة علي منع تلك الثقافة من اقتحام حياته؛ حيث تحطمت كل الأسوار والحواجز بفعل ثورة المعلومات وتقنيات الاتصال التي تنذر بعصر جديد وثقافة جديدة، هذا العصر الذي من أهم ملامحه انحسار الخصوصيات الثقافية والاجتماعية فيه وتقلص الحدود السياسية والثقافية والاقتصادية والمعرفية بين الدول.

ويعد الاستلاب الفكري والثقافي من وسائل غزو عقول الشباب؛ فالإنسان عادة ما يميل إلى الانبهار بالثقافات الأقوى. ومع تنامي دور التكنولوجيا وتعاطم دورها في العصر الحالي برز تأثير تلك الثقافات الأقوى على الرؤى والأهداف والقيم والمعتقدات والعادات والتقاليد، بل وحتى في أدق تفاصيل حياة الإنسان من مأكّل ومشرب وملبس .

ويعود مفهوم الاستلاب إلى القرن الثامن عشر، ويعتبر من بين المفاهيم الهامة في الفلسفات الحديثة والمعاصرة وكذلك في علم الاجتماع وعلم النفس، ويرجع في بداياته المعروفة إلى اللاهوت البروتستانتي أي بدايات القرن الثامن عشر. (Istvan, M., 1976, P. 28)

و يرى فروم أن استلاب الفرد يتضمن الاستسلام والوقوع في الأسر للأشياء التي صنعها ويضيف إلى ذلك افتقاد البوصلة وغياب الهدف. وفي ذلك يذكر أن الإنسان يضيع ويكف عن عيش ذاته كمركز لنشاطه؛ فالإنسان يمتلك كثيرا ويستعمل كثيرا لكنه لا يساوي إلا القليل، وهو لا يساوي شيئا فقط، إنه ليس شيئا لأنه محكوم من طرف الأشياء التي خلقها هو نفسه، فهو محكوم من طرف الأشياء التي صنعتها يده، وقد أصبح الإنسان نفسه شيئا، ويعتقد الإنسان أنه يحكم لكنه في حقيقة الأمر

محكوما من قبل الأشياء، فهو بلا إرادة وبلا هدف، فنحن نتحدث أحيانا عن التقدم والمستقبل ولكن لا نعرف إلى أين نحن ذاهبون. (فروم، إيريك، ٢٠٠٣، ص ١٨)

ويتفق عكلو مع فروم في رؤيته لمفهوم الاستلاب؛ حيث يرى إنه يعنى أن تؤخذ من الإنسان قسرا حريته أو رأيه أو إرادته أو معتقده أو عمله، ويرى أن تأثير الاستلاب على الشخص يتمثل في شعوره بالعزلة والقهر والانكفاء على الذات، تحت تأثير ضغوط سياسية أو اجتماعية أو دينية أو اقتصادية أو نفسية أو ثقافية تفرض عليه من المجتمع أو السلطة أو من قبل جماعة، فيفقد الإنسان انتماءه إلى نفسه ومجتمعه ووطنه ويتحول إلى شخص هامشى ليس له صوت أو تأثير داخل مجتمعه، ويفقد التواصل والتضامن مع الآخرين والإحساس بالواقع أو التعايش معه. (عكلو، جميل، ٢٠١٦، ص ٢١)

أما عوض فيرى أن الاستلاب هو أحد أدوات الإختراق الثقافي الذي يعد محاولة لسلخ الفرد من أمنه وتجريده من الشعور بالانتماء لتثقافته حتى يسهل إخضاعه لمختلف صور التبعية كما يرى أنه إذا تعرضت ثقافة ما للانقياد أو الإختراق فإن ذلك معناه أن المجتمع سيكون عشوائيا في حركته، مقتفدا بذلك بوصلة التوجيه؛ إضافة إلى أنه يطلق الغرائز -وهي القاعدة الحيوانية في الإنسان- من غير ضابط يتولى السيطرة عليها، إلى أن تصبح سلوكيات الإنسان موجهة بمنطق غريزي وخالية من كل قيم أو معايير مثلما هي خالية من أي رشد أو منطق. (عوض، شريف محمد، ٢٠١٣، ص ٩٩)

وترى الدراسة الحالية أن الغرب بحكم أنه المتقدم علميا وفكريا، جعل وقوع الإنسان العربي في أسر الاستلاب الفكرى والثقافى أمرا يسيرا، وهى حقيقة أكدها ابن خلدون في مقدمته؛ إذ يرى أن المغلوب دائما بحكم ضعفه -هو الأسهل للانقياد والاستلاب الفكرى والثقافى، يقول في ذلك "إن المغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. (ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، ١٨٥٨، ص ١٢٢)

ويرى سعادنة أن المغلوب مهما حاول تقليد الغالب والتشبه به فإنه لن يكون هو بل لن يخلو الأمر من ضريبة ثقافية باهظة الثمن؛ ذلك لأن الفرد الذى استسلم لتقليد العادات والأذواق أو تقليد ما يكتنظ به عالم شديده غيره، سوف يقلده أيضا في طريقة التفكير وهنا مكنم الخطورة؛ لأن مفهوم الاستلاب في حقيقته الجوهرية يقوم على جذب الآخرين إلى شريطيات الخصوصية، والعمل على التدرج والتدقيق في طمس معالم الهوية ومحوها، ومن ثم إنتاجها وفق مقاييس ذاتية خاصة تؤول مع الوقت إلى فسخ المستقبل وجعله تكررًا للمركز وتقليدا له. (سعادنة، جمال، ٢٠١٦، ص ١٢)

ومن العوامل التي عززت الاستلاب الفكرى والثقافى للإنسان العربى ما أطلق عليه ثقافة الصورة؛ وهو ما أكده على وطفة الذى يرى أن التقدم العلمى والتقنى الذى يشهده العالم المعاصر أدى إلى تعول الصورة الإعلامية وما استتبع ذلك من تأثير على العقول فقد أصبحت الصورة من وسائل الاستلاب الجديدة لوعى الإنسان العربى. كما يرى أن الصورة قد تحولت بما تمتلكه من جاذبية

وجمال إلى طاقة سحرية يوظفها النظام الثقافي الجديد في عملية إنتاج وعي الإنسان بالعالم وهندسة إدراكه. (وظفة، على أسعد، ٢٠١٩، ص ٣)

وقد أدى ذلك إلى أن المنافسة لم تعد تعتمد على جمال ومثانة وحدة السلعة، بل على الحرب التجارية المرتبطة بالصورة والانتماء الرمزي، ومن هنا كان الإقبال على المنتجات الأمريكية بكافة أشكالها؛ حيث إن ذلك يمنح الإنسان شعورا بالانتماء للغرب وبأنهم يندمجون وهميا ضمن جماعة أو فئة أرقى من مجتمعاتهم، ومن هنا تتأسس الثقافة الاستهلاكية، فالمستهلكون على وعى بأنهم يتحدثون من خلال مظهرهم وملابسهم والسلع والممارسات التي تحيط بهم، وينسحب ذلك على كافة سلوكيات الإنسان بكافة مظاهره. (عوض، شريف محمد، ٢٠١٣، ص ١٣٦، ٩٩)

ويرى جلال أن الإعلام الآن أصبح يشكل صناعة عالمية جديدة غير مرئية تعرف باسم صناعة العقول أو صناعة الوعي، وهو ما أطلق عليه هندسة الثقافة وتغيير العقول. (جلال، شوقي، ٢٠٠٠، ص ٢٣١)

فقد أصبحت وسائل الإعلام أحد أهم الأدوات ذات التأثير الكبير على سلوكيات الأفراد ومن ثم التأثير في قيمهم وأهدافهم وخياراتهم، لذا أصبح التنافس شديدا على احتكار سوق الإعلام والاتصال ومن ثم حياة الأفراد ومصيرهم.

ونتيجة لذلك شاعت كثير من الأنماط السلوكية المخالفة للقيم العربية الأصيلة، وهو ما أكدته إحدى الدراسات التي أشارت إلى أن هناك العديد من المظاهر السلبية التي انتشرت في الآونة الأخيرة مما يدل على تبدل الكثير من القيم، ومن ذلك تزايد العنف بكافة أشكاله، وشيوع أنماط من السلوكيات اللامعيارية كالكذب والفساد والرشوة والنفاق. (حجازي، أحمد مجدى، ٢٠٠٨، ص ١٥)

ويتفق الضبع مع تلك الرؤية ويرى أن هناك العديد من الشواهد التي تدلل على ما حدث من استلاب فكري وثقافي للإنسان العربي؛ فقد سادت الثقافة الاستهلاكية الطفيلية، واحتلت المادة الإعلامية المستوردة مساحة كبيرة من الإرسال التليفزيوني، تلك المادة التي ركزت على الإغراء بالسلع والمنتجات المستوردة والتي شكلت قيما جديدة وحولتها لأشياء مادية سلعية، كما تغيرت سلوكيات الحياة وأصبحت الهرولة المبالغة نحو السلع الاستهلاكية حتى ولو لم يكن هناك حاجة إليها. (الضبع، ماهر، ٢٠٠٦، ص ١٣٦)

وعن انعكاس هذه الحالة فقد أوضحت دراسة أخرى أنه في ظل ظروف التحول يؤدي التقابل بين تناقضات الداخل وتحديات الخارج إلي تقاوم الأزمة الأخلاقية والقيمية؛ حيث ينتاب الأفراد الشعور بالإحباط الذي يدفعهم إما إلي الاستكانة فينصرفون عن الحياة العامة وشؤونها ويخلقون لأنفسهم ثقافة فرعية يحدون معاييرها القيمية بعيدا عن قيم المجتمع وتقضيلاته، أو التمرد علي منظومة القيم الأصيلة المخالفة لهم، ومن ثم يندفعون إلي تدميرها. وفي كلتا الحالتين تختفي القيم الأصيلة وتنتشر الفوضى ويزداد التدهور الأخلاقي.



(زايد، أحمد عبد الله، ٢٠٠٩، ص ١٠)

وترى الدراسة الحالية أن هذه المتغيرات والتأثيرات أدت إلى حالة من الاستلاب الفكرى والثقافى للإنسان العربى، وهو الأمر الذى شكل انعكاسا كبيرا على قناعات الأفراد التى تعتبر ذات أهمية خاصة بالنسبة لهم وأصبحت توجه سلوكياتهم وأفعالهم. ويرى كنعان أن الاستلاب الثقافى وهيمنة القطب الواحد يعد من أهم التحديات التى تعوق عمل التربية العربية لذا عليها مواجهته من هنا أكد ضرورة تعزيز الهوية الحضارية والانتماء القومى. (كنعان، أحمد على، ٢٠٠١، ص ١٢)

يأتى ذلك فى الوقت الذى يري فيه البعض أن التربية العربية تواجه بعض الاختراقات الثقافية من قبيل الدول الكبرى؛ فتشير إحدى الدراسات إلى أن مستوى التفاوت الكبير بين الطرفين قد أدى بالدول النامية ومنها العربية إلى تحديث أنظمتها التعليمية وفقا لما تفرضه سياسات الدول الكبرى، حتى أصبحت قضايا السياسة التعليمية ليست بيدها بل بيد الآخرين، وهو ما يؤدى فى النهاية إلى الشعور بالعجز والدونية والاحتياج الدائم للطرف الأقوى. (السيد، محمد عبد الغنى، ٢٠١٧، ص ٢٢٥)

وتعتبر التربية من أهم العمليات التى يمكن أن تقوم بدور فاعل فى مواجهة الاستلاب؛ فهى العملية المنوط بها تأهيل الإنسان وتنميته وبناءه شاملا يجعله قادرا على القيام بدوره بكل ما يحمله هذا الدور من أبعاد إنسانية واجتماعية، وكذلك التأقلم مع البيئة التى يعيش فيها بما يعود بالنفع عليه وعلى مجتمعه؛ خاصة فى ظل المتغيرات العالمية التى جعلت الاهتمام الأكبر ينصرف نحو الأجهزة والمواد أكثر من تركيزها على بناء الإنسان .

وعلى ذلك يمكن صياغة مشكلة الدراسة فى العبارة التالية :

شهد المجتمع المعاصر العديد من التغيرات العالمية والمحلية التى أثرت على العالم بأسره، والتي أدت إلى كثير من التداعيات وأهمها الاختراق الثقافى والفكرى. وحيث إن الضعيف يميل فى العادة إلى تقليد القوى فى كافة مظاهر حياته، فقد كان لتأثير هذه المتغيرات الأثر الأكبر على فكر وثقافة الإنسان العربى؛ إذ أدت إلى بروز حالة من الاستلاب الثقافى والفكرى له الذى انعكس بالتالى على العمل التربوي ومن ثم كثير من القيم فى العالم العربى.

تساؤلات الدراسة وأهدافها:

استهدفت الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ١- ما الإطار المفاهيمي للاستلاب فى الأدبيات التربوية المعاصرة؟
- ٢- ما أهم عوامل الاستلاب الفكرى والثقافى فى العالم العربى؟
- ٣- ما انعكاس الاستلاب الفكرى والثقافى على التربية فى العالم العربى؟
- ٣- ما الرؤية التربوية المقترحة لمواجهة الاستلاب الفكرى والثقافى فى العالم العربى؟

**أهمية الدراسة:**

وتتمثل في التأصيل النظري لمفهوم الاستلاب وتقديم رؤية مقترحة لدور التربية في مواجهته، بما يمكن أن يسهم في مساعدة صاحب القرار في التعرف على بعض العمليات والممارسات التي يمكن أن تحقق ذلك.

**منهج الدراسة**

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل مفهوم الاستلاب والظروف التي نشأ فيها وعوامله وانعكاساته على التربية في العالم العربي.

**مصطلحات الدراسة:****الاستلاب الفكري والثقافي**

يرى سعادنة أن الاستلاب هو هيمنة المحور الفاعل الذي يقابله في ذات الوقت الاستعداد النفسي والاستجابة الطوعية للضعيف المنتسب إلى ثقافة الهامش تجاه المنجز الثقافي المبره الذي يصنعه المحور الفاعل، ويترجم ذلك في سلوكيات تميل إلى التقليد والانبهار به، ويغيب فيه دور الوعي في إحداث التوازن بين التمسك بالأصيل من جهة وحسن التفاعل مع الدخيل من جهة ثانية. (جمال سعادنة، ٢٠١٦، ص ٥٩)

ومن خلال استقرار بعض الأدبيات تعرف الدراسة الحالية الاستلاب الفكري والثقافي بأنه هيمنة وسيطرة الجانب القوى والفاعل على الجانب الضعيف، بشكل يرسخ لديه الشعور بالعجز والضعف والتخلي والإحساس باللامعنى وانعدام الوعي والإرادة الحرة واللامعيارية، ويؤدي به بالتالي إلى الانقياد للجانب الأقوى الفاعل والانبهار به وتقليده طواعية في كل حياته.

**الإطار المفاهيمي للاستلاب في الأدبيات التربوية المعاصرة**

يعتبر الاستلاب (alienation) من المفاهيم الهامة في الخطاب العربي المعاصر؛ خصوصاً فيما يتعلق بقضية العلاقة بين العرب والغرب؛ حيث يعتبره البعض أحد الوسائل الهامة للاختراق الثقافي لعقول الشباب وانقيادها نحو الثقافات الأقوى والدخيلة على المجتمعات العربية؛ وإعادة تشكيل القيم والتوجهات والرؤى المجتمعية بشكل جديد وكذلك توجيهها بشكل يرسخ مفهوم التبعية والانقياد لتلك الثقافات.

ومفهوم الاستلاب من المفاهيم صعبة التحديد؛ وذلك لتعدد المجالات المعرفية التي استخدم فيها؛ فقد تم تناوله في الفلسفة، والاجتماع، والاقتصاد والأدب، والقانون، والطب النفسي. ويترجم اللفظ باللغة الإنجليزية إلى كلمة alienation، بينما في الأدبيات العربية استخدم بمعاني متعددة منها الاغتراب، والتغريب، والاستلاب، والألينة والاختراق عن الجوهر.

وفي اللغة العربية يشير معجم المعاني إلى أن كلمة استلاب هي مصدر للفعل استلب، ويقال يستلب، استلاباً فهو مُستلب، والمفعول مُستلب، واستلَبَ ماله: أَخَذَهُ مِنْهُ قَهْرًا، وإِخْتَلَسَهُ، وإِسْتَلَبَهُ حَقَّهُ: سَلَبَهُ إِيَّاهُ، وإِسْتَلَبَ إِعْجَابَهُ: إِنْتَرَعَهُ، وإِسْتَلَبَتْهُ أَفْكَارُ الْعَرَبِ: خَضَعَ لِتَأْثِيرِهَا وَكَانَ عَاجِزًا عَنِ السَّيْطَرَةِ عَلَى نَفْسِهِ. وَيَعِيشُ حَيَاةَ اسْتِلَابٍ: أَيِ يَعِيشُ حَيَاةَ خُضُوعٍ وَإِسْتِعْبَادٍ بِفِعْلِ ظُرُوفِ اجْتِمَاعِيَّةٍ، إِقْنِصَادِيَّةٍ، أَوْ فِكْرِيَّةٍ، أَوْ سِيَاسِيَّةٍ خَارِجَةٍ عَنِ إِرَادَتِهِ، إِسْتِهْوَاءً، إِغْوَاءً. (معجم المعاني، ٢٠١٩)

وبذلك يكون التعريف اللغوي يشير إلى أن مفهوم الاستلاب يحمل معاني السلب والخضوع والعجز وانعدام الإرادة.

ويرى شاويش أن القرن العشرين يمكن وصفه من الناحية الثقافية في العالم العربي بأنه قرن الاستلاب، فمنذ بداية عصر النهضة كانت المدارس الفكرية والفنية والأدبية تتوالى في العالم العربي لا كنتيجة للحوار الداخلي وتطور الساحة الثقافية، بل كنتيجة لاستيراد ونسخ وتقليد ما يظهر في الغرب من هذه المدارس. (شاويش، محمد محمد، ٢٠٠٧، ص ٦)

وقد ظهر مفهوم الاستلاب منذ أواخر القرن الثامن عشر ويعتبر من المفاهيم الهامة في الفلسفات الحديثة والمعاصرة وكذلك في علم الاجتماع وعلم النفس، ويعود في بداياته إلى اللاهوت البروتستانتي في بدايات القرن السادس عشر، غير أن استخداماته تنوعت على مدى قرنين من تطور الفكر الفلسفي والاجتماعي والأوروبي، ابتداء من توماس هوبز وجون لوك ومرورا بجان جاك روسو وفريدريك شلينج، وصولاً إلى هيغل والذي يحتل مفهوم الاستلاب لديه أهمية كبيرة. (Lukacs, G., 1983, P. 23)

وقد انتقل المصطلح من اللاهوت إلى الفلسفة وخصوصاً في أقسامها المتعلقة بالحق والأخلاق في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وذلك في أجواء الصراع اللاهوتي والصراع العلمي اللاهوتي، إما لتكييف اللاهوت الكاثوليكي المحافظ للطباع لحاجات المجتمع الصناعي-الحداثي الصاعد، وإما لإقصاء هذا اللاهوت من ميدان الحق والأخلاق والفلسفة تلبية للحاجات نفسها. (Istvan, M., p. 28-32)

ويرى عبد الجبار أن الترجمات العربية الأولى لهذا المفهوم والتي شاعت في منتصف الخمسينيات وما بعدها اختارت لفظ الاستلاب، وبعد حوالي ربع قرن اختار جيل جديد مصطلح الاغتراب، ومن وجهة نظره أن مفهوم الاستلاب هو الأدق، ولكن دون استبعاد المفردة الأخرى، فلفظ الاستلاب وفقاً لرؤيته يحوى ظلالاً كثيرة منها السلب والتدمير في مقابل الإيجاب والبناء، كما يتضمن معاني أخرى مثل الانتزاع والخلع، والسلبية بمعنى النكوص والانطواء، ويرى أن لفظ الاغتراب لا يتضمن كل هذه المعاني. (عبد الجبار، فالح، ٢٠١٨، ص ١٤)

وتتفق الدراسة الحالية مع رأى عبد الجبار؛ حيث إن دلالة المفهوم في هذه الدراسة تتفق مع هذه الرؤية، فالدراسة الحالية تعنى بالاستلاب الذي يعنى تدمير وسلب واغتراب الشخصية العربية عن ذاتها ومجتمعها، وهو التعريف الذي يتفق مع التعريف اللغوي للمصطلح والمشار إليه سابقاً.

كما يتفق عبد الجبار مع عكلو في مضمون مفهوم الاستلاب؛ فالاستلاب عنده هو مفهوم يعبر عن قهر الشخصية وانحطاطها في مجموع القطيع، وهو لا ينشأ من فراغ في المجتمعات، وإنما تسهم النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحكم المجتمع في ذلك، إضافة إلى الأنساق الثقافية التي تتعمد الوهم وتزييف الوجود وتحنيط العقل في سبيل تذويب الحرية الفردية ومصادرة الإرادة عن طريق التسلط والقهر. (عكلو، جميل، ٢٠١٦، ص ٣٥)

وقد تناول العديد من الفلاسفة والمفكرين والباحثين مفهوم الاستلاب في محاولة لتحديد أبعاده، وأضاف بعضهم إليه بعض الدلالات والمعاني، ولا شك أن هذه الرؤى تكشف التنوع الشديد في وجهات نظرهم متأثرين في ذلك بمجال اهتمامهم وبالظروف الثقافية والاجتماعية المحيطة

بهم، وهو ما أدى إلى ثراء المفهوم من جانب وصعوبة تحديده من جانب آخر، حتى أطلق عليه في بعض الأدبيات بالمصطلح المريض. وستعرض الدراسة فيما يلي لبعض من هذه الآراء.

فقد حاول إيريك فروم تحليل إشكالية استلاب الإنسان باستعمال مفهوم الطبع المجتمعي المنتج وغير المنتج، والإنسان المستلب عنده هو الذي لم يعد قادرا على جلب القوة من حياته الفيزيائية والروحية والفكرية، ولم يعد قادرا على خلق هذه القوة من ذاته وفي ذاته، وقد ميز بين الطبع المنتج وغير المنتج وحظى بأهمية كبيرة لديه، ويبرى أن الملاحظة الإكلينيكية تظهر أن هناك ردود أفعال للإنسان على حاجات نفسية يمكنها أن تحدث طبقا لتوجهات طباعية كثيرة، غير أن التوجهات المنتجة المودعة داخل الإنسان هي وحدها التي تمكنه من التطور والتفتح. (فروم، إيريك، ٢٠٠٣، ص ٤٣)

ومن ذلك يلاحظ أن مفهوم الاستلاب عند فروم يرتبط بمعنى الضعف وانعدام القوة، وبالتالي فإن الإنسان المستلب يفتقد القوة والقدرة على الإنتاج والفعل، ويصبح سلوكه مجرد رد فعل لما يدور حوله من أحداث.

ويبرى على حرب أن الاستلاب هو الوجه الآخر للارتداد وأن الشخص الذي يشعر بأنه مستلب يستبعد ما سواه ويحاكمه بوصفه مرتدا عن هويته خارجا عن مجتمعه. غير أن المستلب لا يصنع بذلك حقيقة بقدر ما يعتقد أن الحقيقة توجد في ماضٍ لن يعود، أو مستقبل لا ينفك أن يبتعد، فهو لا يفعل سوى القفز فوق الوقائع ونفى نفسه عن العالم الراهن للارتداد نحو البدايات التي تهرب منه، بقدر ما يحاول التماهي معها أو الاقتراب منها. لذلك فالمطلوب وقبل كل شيء فهم العالم لكي نحسن التعاطي معه وتغييره، وذلك بإعادة النظر في كل ما نمتلكه أو نستخدمه وفهمه وتغييره من نماذج وتصورات أو مناهج أو أدوات، وتلك هي البداية. (حرب، على، ١٩٩٧، ص ٢٣)

ومما سبق يتضح أن الشخص المستلب يتسم بتمرده على الواقع المعاش وعدم الاعتراف به، كما أنه ليس إنسانا فاعلا يصنع الحقيقة وهو في ذلك يتفق مع فروم في وجهة نظره. ولكنه مع ذلك يرى أنها توجد في الماضي الذي يصعب إستعادته. وهو ما يضع على التربية دورا كبيرا بحيث تكون البداية هي إعادة النظر بشكل جديد لما يمتلكه الإنسان ومحاولة فهمه وتغييره.

أما ماركس فقد عبر عن هذا المفهوم مستخدما لفظ الاغتراب - من خلال مفهوم الانفصال والتخلي، فيرى أن العامل مغترب لأنه مفصول عن منتوجه ولكنه في نفس الوقت مجبر على التخلي عن منتوجه للأخرين، وهذا هو الأساس نقص التحكم في المحيط الذي يفسر نظرية ماركس في الاغتراب، وقد فسّر ماركس مفهوم الاغتراب من خلال الحديث عن نقص التحكم، وهذه دلالة أخرى يضيفها ماركس لمفهوم الاغتراب، بالإضافة لمفهومى الانفصال والتخلي أيضا. (عبد الجبار، فالح، ٢٠١٨، ص ١٢)

أما فروم فقد تناول في فلسفته الإنسانية استلاب الإنسان في المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي، وهو استلاب تم على مستويات عدة وعلى رأسها استلاب وعى الإنسان والزج به في عوالم استهلاكية خيالية، لا يكون مطالب فيها باستعمال ذكائه وعقليته، بقدر ما يكون مرغما على الاستهلاك الأعمى. ومن الميكانيزمات النفسية التي توظف من أجل تحقيق هذا الغرض على وجه الخصوص تقييد الإنسان بأصناف غير مرئية تتبع له القيد معلبا في علبة الحرية بمباديء من قبيل الفردية والحرية الشخصية. (فروم، إيريك، ٢٠٠٣، ص ١٤)

وبذلك فإن فروم يرى أن الاستلاب يحدث للإنسان بشكل قسرى ودون اختياره؛ حيث يكون مجبرا عليه في ظل ظروف اقتصادية تزج به للاعتقاد بأشياء دون وعى وذلك من خلال تقييده بها بشكل لا يجعله يستطيع الفكك منها، ويضرب مثلا على ذلك بالنمط الاستهلاكي الذي فرضته بعض الظروف والمتغيرات التي شهدتها المجتمعات المعاصرة.

أما مانهايم Manheim، و أدورنو Adorno فقد اضافا للمفهوم مظهرا آخر وهو اللامعنى meaningness، والذي يكون فيه الفرد غير قادر على الاختيار بثقة من بين التفسيرات المتاحة، وكذلك انعدام القدرة العقلانية الوظيفية وتركيزها على التخصص والانتاج، مما يؤدي إلى عدم القدرة على الاختيار من بين تلك التفسيرات. (Sarfare, H., 1997, P. ٤٦)

وهذا يشير إلى استلاب الإرادة الحرة والواعية عند الإنسان، وافتقاد الإنسان المستلب القدرة على إضفاء المعنى على الأمور ومن ثم القدرة على الاختيار، وهو يتفق في هذه الواجهة مع إيريك فروم. أما روسو فقد أشار إلى أن الاستلاب قد يكون قسريا وهو ما أطلق عليه الاستلاب القسرى والذي اكتسى بثوب سياسى، أو طواعيا وهو ما أسماه الاستلاب الطوعى أي الاغتراب ويعنى به نقل السيادة إلى الجماعة، وقد تناول في طياته مفردات متعددة منها التضحية، والتنازل، والتخلى، وعلى ذلك فإن الاستلاب عند روسو هو:

استلاب اقتصادى: ويقصد به نقل حق الملكية إلى آخر، والتنازل، والتخلى، ويمكن في حدود أن يكون متبادلا.

استلاب سياسى: أي الانفصال، واغتراب الإنسان عن حريته قسرا "مرفوض" أو طوعا "مقبول"، شرط أن يتم التخلى عن الحرية للجماعة على أساس العقد الاجتماعى.

استلاب اجتماعى: أي الإنسان للإنسان واغتراب الإنسان عن الإنسان بفعل تقسيم العمل والتخصص.

استلاب فردى: استلاب الجوهر الإنسانى، أي اغتراب الإنسان عن طبيعته الأصلية.

عام: استلاب منتجات الإنسان، أي اغتراب الإنسان عن نتاج نشاطه، أو كما يسمى اغتراب الإنسان الطبيعى عن المؤسسات الاجتماعية. (عبد الجبار، فالح، ٢٠١٨، ص ٥١ - ٥٨)

ومن ذلك يتضح أن روسو اختلف عن سابقيه في أنه لا يرى أن الإنسان يستلب دون وعى أو إرادة، بل يرى أن ذلك يمكن أن يحدث بطريقة قسرية وأيضا بطريقة طواعية وباختياره، فيتخلى باختياره عن ملكيته الخاصة أو جماعته أو نفسه أو مؤسساته كما أن الاستلاب لديه له معانى متنوعة، فقد يكون سياسيا أو اقتصاديا.

أما دور كايم فقد أضاف إلى المفهوم بعدا جديدا؛ حيث أشار إلى أنه يتضمن مفهوم اللامعيارية Normlessness والذي استخدم في البحوث الحديثة وأطلق عليها الأنوميا Anomie، والتي يعرفها بأنها نقص الإدراك في المعايير والوسائل المتفق عليها اجتماعيا في توجيه الإنسان لتحقيق أهداف ثقافية محددة، ويرى أن سعادة الإنسان تتحقق حينما تتناسب حاجاته مع الوسائل المتاحة، وبما أن الحاجات الإنسانية هي حاجات اجتماعية أكثر منها بيولوجية وموجودة في مجتمع تنافسى ولا حدود لها؛ حيث إن الإنسان كلما أشبعت لديه حاجة ظهرت لديه حاجة أخرى وهكذا. ويرى أنه كى يشعر الإنسان بالسعادة عليه الحد من هذه الحاجات، ولكن بما أن الإنسان يعجز عن حدها بنفسه فقد

ظهرت ضرورة وجود قوى خارجية لتقوم بالدور الذي عجز عنه هو، هذه القوة من وجهة نظره هي الأخلاق، ولكن وجود هذه الحدود تؤدي إلى أن تستثار الانفعالات، ولكن داخل هذه الحدود يكون من الصعب التحكم في رغبات الإنسان بوسائل القوة الإجبارية أو بالمعايير الاجتماعية، أو عدم قدرتها على ضبط الرغبات وهو ما أطلق عليها "حالة الأنوميا"، وهنا يجد الفرد نفسه غير قادر على التوافق مع التغيرات الاجتماعية ونتيجة لذلك يصبح مغترباً.

(الزقاي،نادية مصطفى، ٢٠١٥، ص ٢٠٣-٢٠٤)

يتضح من خلال ما سبق أن دور كايم يرى أن ثمة ضرورة لضبط الإنسان لحاجاته ورغباته الدائمة التجدد والاستمرار، وهو في ذلك يقف موقفاً واضحاً مما أطلق عليه في المجتمع المعاصر الثقافة الاستهلاكية وإن كان لم يذكرها بشكل مباشر، وهو يتفق هنا مع فروم. وعلى الرغم من أن دور كايم أعلى من قيمة الأخلاق في إحداث هذا التوازن والضبط، فإنه مع ذلك يرى أن الإنسان ربما يكون غير قادر على التوافق مع التغيرات الاجتماعية حوله، وهنا يحدث حالة الاغتراب من وجهة نظره.

ومما سبق ترى الدراسة أنه لا تناقض بين الأبعاد السابقة أو المعاني التي أضافها الفلاسفة والمفكرون السابقون؛ فمعاني العجز التخلي واللامعنى وانعدام الوعي والإرادة الحرة واللامعيارية، لا تتفصل عن بعضها البعض، وربما تكمل كل منهما الأخرى كما يتضح أيضاً مدى ثراء مفهوم الاستلاب من حيث المعاني التي يتضمنها ويرجع ذلك إلى تناوله من زوايا مختلفة اقتصادية، وفلسفية، واجتماعية، وسياسية، وهو ما أعطى للمصطلح أبعاداً متعددة.

ويرى الفالح أن التعدد في مفهوم الاستلاب يرجع إلى عوامل عدة منها:

الظلال العديدة التي ينطوى عليها هذا المفهوم من ناحية الدلالات اللغوية، سواء في أصولها اللاتينية أو الإنجليزية أو الألمانية، وهذه الظلال ليست سوى انعكاس لعلاقات قائمة في الواقع ولتطور هذه العلاقات في التاريخ.

تنوع الأنظمة الفلسفية والسوسيولوجية التي استخدمت هذا المفهوم وأضافت إليه مضامين متنوعة وفقاً لبنية هذه النظم والموقع الذي تحتله. (عبد الجبار، فالح، ٢٠١٨، ص ١٤)

### ثانياً: عوامل الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي

سبق وأن أشارت الدراسة الحالية إلى أن المجتمعات الأقل تقدماً هي الأكثر عرضة للاستلاب، حيث تكون ممارساتها في الغالب ليست صادرة عن إرادة حرة وواعية، بل إن السياق الثقافي والاجتماعي يفرض عليها في كثير من الأحيان أنماطاً معينة من التفكير والممارسة، وتكون منقادة أكثر منها قائدة، من هنا كان الإنسان العربي بحكم وجوده في مثل هذا النمط من المجتمعات أكثر عرضة للاستلاب.

وترى الدراسة أن هذه العوامل ساهم في تكوينها عوامل خارجية فرضتها الظروف والعوامل والمتغيرات العالمية بتداعياتها المختلفة، ومنها ما هي داخلية تحكمت في تشكيلها ولو بشكل جزئي أيضاً عوامل خارجية، هذا لا يمنع من الاعتراف بأن هناك سوءاً في الإدارة ونمط الحياة عموماً في

هذه المجتمعات ساهمت في تشكيلها. وستعرض الدراسة لهذه العوامل بشيء من التفصيل حيث ترى أنها تتمثل فيما يلي:

### ١- العولمة وتداعياتها

#### ٢- تفوق الغرب

#### ٣- الاستبعاد والتهميش الاجتماعي

##### ١- العولمة

شهد العالم في السنوات الأخيرة من القرن العشرين نظاما عالميا جديدا تشكل تدريجيا إلى أن اكتملت صورته أطلق عليه "العولمة"، والتي أصبحت الإطار الذي يستوجب على جميع الدول باختلاف درجات تقدمها أن تتصاح له وتسير في فلكه باعتبارها أمرا واقعا لا مناص منه. وقد اختلف الباحثون في رؤيتهم للعولمة ما بين مؤيد ومعارض لها.

ويرى حجازي أن العولمة تهدف إلى الاختراق الثقافي والفكري؛ حيث السيطرة وسلب الوعي والهيمنة الثقافية، وهنا يجد الإنسان العربي ذاته أمام تكوين ثقافي مغترب، ويصبح خليطا غريبا من هنا وهناك وبين أيديولوجيات مستوردة تجمع بين المحافظة والراديكالية وتشوه التراث وتمحو معالم الوعي التاريخي. ونتيجة لذلك يصبح الإنسان العربي مغتربا في ثقافته لا يعرف كيف يواجه تداعياتها، فيعيش عالما من الوهم ونسقا من الخيال يصنعه لنفسه إما هربا من واقعه أو عجزا عن الفكك منه، فلا يجد مخرجا من ذلك سوى الارتداد لماضيه والتباكي عليه، ومع ذلك قد يسعى للعصرنة والمظهرية المصطنعة فيصبح ممسوخ الشخصية فاقدا للهوية، غير قادر على التكيف مع الواقع وغير قادر على التصالح مع ذاته أو التعايش مع الآخر من أجل إعادة الذات. (حجازي، أحمد محمد، ٢٠٠٩، ص ١٥)

وتتفق الدراسة الحالية مع الرأي السابق وتعتبر العولمة من أهم وأخطر عوامل الاستلاب للإنسان العربي؛ إذ شكلت تهديدا للثقافة العربية التي أصبحت معرضة لمخاطر عدة، نظرا لما تمتلكه من أدوات وآليات تغريبية تستهدف في النهاية تحويل المجتمعات العربية لمجتمعات استهلاكية لا منتجة. لا سيما ما ترتب عليها من تداعيات ساهمت في زيادة حدة هذا الاستلاب، وستعرض الدراسة فيما يلي لأهم تداعيات العولمة وتأثيراتها على الثقافة العربية وما شكلته من استلاب فكري وثقافي في المجتمعات العربية؛ ومنها كما ترى الدراسة ما يلي:

#### أ- طغيان الثقافة الاستهلاكية

#### ب- انتشار ثقافة الصورة

#### أ- طغيان الثقافة الاستهلاكية

مع ظهور العولمة انتشرت ثقافة الاستهلاك عند الكثيرين؛ إذ أصبح الإقبال على الاستهلاك يفوق إشباع الحاجات الأساسية للإنسان، والسعى لإشباع الحاجات الثانوية والنظر إليها على أنها لا يمكن الاستغناء عنها. فأصبح شحن الهاتف الجوال على سبيل المثال عند البعض أهم بكثير جدا من شراء الكتاب أو حتى الاحتياجات من السلع الأساسية.

ويرى Barry أن الثقافة الاستهلاكية تعمل على تدعيم الإحساس بالتميز والتفوق للمستهلك، من هنا يصبح الهدف هو امتلاك السلعة بغض النظر عن حاجة الفرد إليها، ومن ثم يتعود المستهلك

تدرجياً على متابعة حركة السوق والرغبة في الشراء، وهذا ما يجعله يبحث عن أقصر الطرق للحصول على كل ما هو جديد من سلع ومنتجات معروضة أو معلن عن طرحها في الأسواق بغض النظر عن حاجته إليها، فيهرول إليها وهو ما يؤدي إلى إصابته بحالة تشبه الإدمان. (Rubin, Barry, ٢٠٠٨، p. ١)

وقد أصبحت عملية الترويج للثقافة الاستهلاكية صناعة مهمة وعاية في السهولة في ذات الوقت؛ إذ تعتمد على وسائل تكنولوجية تنتج التدفق المعرفي وتحول إنتاج المعلومات لصناعة تنتج سلعا، وتدعو للانفتاح الحر وطرح كل ما هو سهل وسريع الانتشار. وقد قامت فلسفة التأثير في المستهلك على سيادة مفهوم المنافسة كمحرك أساسي للعولمة الاستهلاكية. فالمنافسة في السوق العالمي تتطلب التكيف مع ثقافة هذا السوق، ولذا فهي تؤمن بحرية الإعلام وفتح المجالات الواسعة أمام التقنيات الحديثة، وامتلاك وسائل الإعلام وأساليب الدعاية والتسويق للسلع. ولا شك أن هناك فارقاً كبيراً بين النزعة الاستهلاكية في المجتمعات المتقدمة، وبين الاستهلاك في دول العالم الأقل تقدماً، ففي الحالة الأولى تعمل لصالح الحضارة والتنمية، بينما في الثانية تعمل لصالح التأخر والتخلف. فالدول الأولى تستهلك ما تنتجه فتزيد من عمليات الإنتاج وإعادته، بينما تستهلك الدول الأخرى السلع التي ينتجها "الأخر" فتسهم بذلك في زيادة تخلفها وهدر إمكاناتها.

ويرى ستيفن أن ظهور النفط كان من العوامل التي ساهمت في ظهور هذه الثقافة الاستهلاكية في المجتمعات العربية؛ حيث صاحبه حدوث تغيرات شتى في الأنماط الاستهلاكية لدى الكثيرين؛ فزاد ميل كثير من شرائح المجتمع نحو الاستهلاك الترفي، وامتد هذا الميل ليشمل كافة الطبقات الاجتماعية إما بالاستهلاك الفعلي أو النزعة إلى الاستهلاك في معظم البلدان العربية. (Steven C., ٢٠٠٨، p. ١)

وترى الدراسة أنه بالرغم من الفروق بين البلدان النفطية وغير النفطية في العالم العربي، فإن النزعة الاستهلاكية شكلت نوعاً من الثقافة انتشرت بصورة واضحة في كلاهما، حيث يعتبر امتلاك الشخص لهذه السلع رمزا للمكانة الاجتماعية ودلالة على تميزه عن الآخرين. وقد صاحب ذلك انتشار ظاهرة الاستهلاك الترفي وبروز مظاهر ثقافية مرتبطة بالسلع الاستهلاكية ولم تستطع تلك البلدان مجاراة المنافسة المفروضة في ظل الانفتاح والعولمة، مما جعلها تستسلم لقوة وجاذبية وضغط التيارات الثقافية الاستهلاكية المتدفقة، والتي لديها القدرة على تشكيل العقول والفكر والوجدان وظهر ذلك بشكل واضح في انتشار الثقافة الاستهلاكية للأطعمة السريعة وكذلك انتشار الموسيقى وفرق الغناء غير العربية والتشجيع المبالغ فيه لبعض الفرق الرياضية الغربية وغيرها من المظاهر.

وترى القليبي أن بعض الشركات متعددة الجنسيات ساهمت إلى حد ما في نشر تلك الثقافة وترسيخها في عقول الكثيرين، كما لعب الإعلام دوراً كبيراً في تغلغلها داخل المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أشكالها، وقد ساعدها على ذلك امتلاكها لتكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال والتي مكنتها من إعادة تشكيل أنواق المستهلكين، وترغيبهم في السلع المنتجة، ودفعهم نحو نزعات استهلاكية لا حدود ولا نهاية لها. (القليبي، فاطمة، ٢٠٠٠، ص ٢٨)

ويرى جيل Gill أن الاستهلاك أصبح عملية تأثير اختيارية وإجبارية في ذات الوقت؛ فهو يخضع لمعايير معرفية يتحكم فيها من يمتلك وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، و تتم



بصورة غير مباشرة عن طريق برامج مخطط لها سلفاً، وذلك من خلال تقديم الفقرات الإعلانية والأعمال السينمائية والمسلسلات التليفزيونية وغيرها من الأشكال التي تجعل المتلقى دائماً يقارن بين حاله وحال الآخرين في المجتمعات الأخرى. والتأثير المباشر في المستهلك غالباً ما يتم عن طريق الصوت والصورة والرمز والإيحاءات التي يبرزها الإعلان، والذي يستخدم كل ما هو متاح ومغر بغض النظر عن مدى مناسبة لمنظومة القيم الاجتماعية والثقافية الخاصة بالمجتمع. (Valentine, G., 2003, p. ٤).

وكل ذلك بهدف إثارة غرائز الأفراد والترويج للسلع ودفعهم للتسوق وترسيخ ثقافة الاستهلاك، وإيجاد تطلع ترفي من خلال جعل السلع المعلن عنها مرغوباً فيها ومقنعة وميسرة وسهل الحصول عليها بطرق ثلاثتهم حتى لو أدى ذلك إلى التأثير السلبي على أحوالهم المعيشية أو تراثهم الثقافي أو انخفاض قدراتهم البشرية أو اعتماد أنظمتهم على الاستيراد من الخارج. (Visser, Margaret, 2009, p. ١٦).

وترى الدراسة الحالية أن المشكلة ليست في هذا إذا كان يقابل الاستهلاك عمل وإنتاج، ولكن المشكلة أن يصاحب ذلك الاستهلاك نوع من التواكل والتكاسل وعدم الرغبة في العمل، وغياب الشخصية المنتجة، وتحول الاستهلاك إلى حالة تشبه الإدمان تعبر عن ثقافة مفروضة على البشر بدلاً من ثقافة اختيارية تخضع لمعايير عقلانية من أجل إعادة الإنتاج واستمراريته لصالح المجتمع. المشكلة كذلك في تحول الاستهلاك إلى هدف في حد ذاته حيث أصبح يعبر عن رمز لمكانة الشخص، وكلما زاد الاستهلاك لدى الفرد زادت مكانته بين أبناء جماعته، ومن هنا زاد الطموح الاستهلاكي الذي ارتبط بالتفاخر.

ويرى زايد أن الثقافة الاستهلاكية تخلق من الرموز ما يجعلنا نفهم ذواتنا وذوات الآخرين على نحو معين، كما تمتد رمزية تلك الثقافة إلى ذلك الجانب النذوقي والجمالي في الثقافة؛ حيث تختلف الرموز والمعاني والعلامات المرتبطة بالسلع باختلاف الأفراد والجماعات في المجتمع ويتحولان إلى نضال مستمر حول مجموعة من الرموز تستهدف خلق معايير معينة وتثبيتها في الإذهان. (زايد، أحمد، د.ت، ص ١٨٨).

وترى الدراسة أن ثمة علاقة بين شيوع الثقافة الاستهلاكية في المجتمعات العربية واستلاب الإنسان العربي؛ فقد ترتب على شيوع هذا النمط الاستهلاكي أن تم اختزال الثقافة في معناها العام كأسلوب حياة إلى سلعة قابلة للتداول، فأصبحت تلك السلعة ورموزها المعلن عنها أهم من جودتها، وتحولت سلوكيات البشر من العقلانية والرشد إلى سلوكيات تميل إلى الوجدانية والعاطفة غير المدروسة؛ حيث ينزع المستهلك نحو الرغبة في الامتلاك بغض النظر عن حاجته للسلعة أو المنتج، وقد يحدث ذلك دون وعى وإدراك. ولأن حصول الفرد على منتج معين ينتج عنه اكتسابه لمكانة اجتماعية مرتفعة في مجتمعه فقد تحول الاستهلاك لهدف في حد ذاته. وأصبح الإنسان مستلب العقل والإرادة لا لشيء غير أن الحصول على هذه السلعة تمنحه إحساساً بالانتماء والاندماج في الثقافة الغربية الأقوى. وتتبدى في الثقافة الاستهلاكية بهذا المعنى العديد من معاني الاستلاب السابقة الذكر؛ حيث استلاب الإنسان في المجتمع الاستهلاكي دون إرادته كما ذهب فروم، وعدم القدرة على الاختيار كما ذكر مانهايم؛ حيث يصبح منقاداً لسلطة السلعة والمنتج رغماً عنه، كذلك ظهور حالة

الأنوميا التي ذهب إليها دور كايم لعدم قدرة الفرد على ضبط رغباته الاجتماعية من هنا ترى الدراسة أن الثقافة الاستهلاكية تعد من أبرز مظاهر استلاب الإنسان العربي.

### ب- ثقافة الصورة

تعتبر ثقافة الصورة أحد أهم العناصر التي ارتكز عليها العالم في بسط هيمنته الثقافية، وذلك لما تتميز به من إمكانية القيام بدور هام في صناعة الرمز وصياغة الدلالات، ولما تتوفر لها أيضا من عناصر تعبيرية متنوعة وجذابة في شكلها ولونها ورمزيتها وجمالها. إذا أصبح الخطاب البصري من المصادر الرئيسة في تشكيل القيم والوعي والوجدان والسلوك والذوق وإنتاج الرموز الجاهزة وتلقى الأفكار والمعارف بطريقة آلية تجعل الإنسان نسخا متكررة تفكر وتتذوق وتستدل بطريقة شبه موحدة، أما ما يستعصى على التنميط وفق هذه الآلية فسينقرض تدريجيا مثل الفلسفة والشعر وبعض الفنون والعلوم الإنسانية التي ترتبط بالخصوصيات الثقافية. وفي العصر الحالي تزايد الاهتمام بالفن المرئي كما أصبح الخطاب المرئي هو السائد وأداة رئيسة في النفوذ والهيمنة والتأثير وامتلاك المعلومة والتحكم فيها أيا كانت؛ لذا أصبحت الصورة هي المفتاح السحري لتشكيل وعي الإنسان المحيط به. (سعادنة، جمال، ٢٠١٦، ص ٦٢)

وقد اعتبر بن نبي أن ذلك يدخل في إطار ما يطلق عليه الحرب الناعمة، والتي لا تعد في مناهج الحرب النفسية والدعاية بقدر ما هي تطور في الوظائف الناتجة عن التطور الكمي والنوعي الهائل في وسائل الاتصال والإعلام، بل يمكن اعتبار الحرب الناعمة إفراسا طبيعيا وحتميا مرتبطا بسعة انتشار وتوسع الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام والفضائيات وأجهزة الاتصال الرقمية ومواقع وصفحات الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي. (بن نبي، مالك، ١٩٨٧، ص ٧٠)

وترى الدراسة أن موضوع ثقافة الصورة وتأثيراتها من الموضوعات الهامة، لا سيما بسبب انتشارها وانعكاساتها القيمية والتربوية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية أيضا. وهو ما يتفق مع رأى على وطفة الذى يرى أن ثقافة الصورة ستكون الموضوع الأهم في القرن الحالي باعتبار أن التكنولوجيا تتطور وهذا التطور ينعكس بالتالى على العلاقات الاجتماعية وكذلك على المنظومات القيمية والأخلاقية للناس. فالتكنولوجيا الآن أصبحت تخترق هذه المنظومات، مما أدى إلى احتجاج الناس على هذا الاختراق، الأمر الذي دفعهم لتقديم شكاوى عديدة للجهات القانونية والحكومية المسؤولة، كما يرى أن ثقافة الصورة تتجاوز حدود الثقافة إلى جغرافية الصراع بين الدول والشعوب والثقافات؛ حيث تدور المعارك الكبرى بين الدول الآن في تقاسيم الهيمنة والسيطرة بين الدول الضعيفة والقوية والمتناظرة في القوة، وهنا تؤدي الصورة دورها في هذه الحروب كأداة رئيسة ومحورية. كما يظهر بوضوح دور الصورة الإعلامية عبر وسائط الإعلام التي تتمثل في الفضاء الإعلامي عبر الشاشات والقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت المعززة بوسائل التواصل الاجتماعي والتي تعتمد بطريقة غير مسبوقة على فن الصورة كسلاح مدمر وفعال في الهيمنة والسيطرة. والصورة التي تبتث عبر الأقمار الصناعية وعبر شاشات الكمبيوتر والإنترنت كسلاح غالبا ما تكون مشفرة ومحملة بمضامين وغايات وأهداف خفية مضمرة تستهدف عقل الإنسان وقيمه، كما أنها لا يمكن أن تكون حيادية وشفافة، بل هي غالبا ما تكون أداة أيديولوجية تستهدف الآخر في قيمه

ومعانيه. فالمجتمعات الإنسانية - كما يؤكد كثير من الباحثين - تعيش حالة استلابية اغترابية تحت تأثير الصورة الإعلامية بوصفها طاقة استلابية كئيبة القدرة. (وظفة، على، ٢٠١٩، ص ٢)

وتتفق الدراسة الحالية مع ما ذكره على ووظفة؛ خاصة بعد أن ساهمت بعض الفضائيات العربية منها والأجنبية في نشر الكثير من المواد الإعلامية ذات التأثير السلبي الكبير على الإنسان العربي من خلال ما تقدمه من مواد ذات طابع ثقافي هابط في بعضه ويتعارض في كثير منه مع مقومات الشخصية العربية، وهو ما أدى إلى شعور الإنسان العربي بالاغتراب الحاد، فهذه القنوات تتسابق لإرضاء الشباب واجتذابه بأية صورة من خلال المواد الترفيهية بتقديم كثير من الأعمال والبرامج التي تتنافى في كثير منها مع القيم والعادات والتقاليد العربية الأصيلة؛ إذ أصبحت مليئة بالعنف والإجرام والإثارة وساهمت في تعميق المشاعر الذاتية والأناجية أكثر من روح الالتزام الاجتماعي، كما ساهمت في إضعاف الولاء للمجتمع وكذلك إنكفاء الروح الفردية الاستهلاكية، ومن ثم الإحساس بالدونية والاعتراب وإشاعة مشاعر الاستسلام للواقع، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها، وازدياد السلوك الإجرامي والأمراض الاجتماعية.

ويرى سعادنة أن من أهم التأثيرات السلبية لثقافة الصورة أنها تسعى إلى عزل الفرد عن إطاره الثقافي وانتمائه الحضارة، وبهذا يصبح أكثر قابلية واستعداداً لأن يستلب، وهو نوع آخر من الاستلاب يؤدي إلى أن يتعطل الحس النقدي لدى الفرد ويفقد روح المبادرة والقدرة على التفكير، كما يرى أن تسليم العقول لمن يفكر عنا بالإناية هو بداية التخلف والضعف والتطرف بكافة أشكاله. كما أنه يؤدي إلى إشاعة السلبية؛ حيث تعمل الصورة على زرع ثقافة الشعور باليأس وفقدان الثقة بالذات من خلال التركيز على ضخ نموذجين متباينين من الخطاب البصري: أولهما عميق مشرق ومؤثر إيجابياً في تقديم المجتمع الغربي في أرقى الصور الحضارية والإنسانية والجمالية، بينما الثاني خطاب بصرى مظلم عنيف ويأس يقدم المجتمعات العربية في أسوأ صور الخراب الحضاري والإنساني والجمالي، فيحدث الإحساس بالمفارقة وهو ما يؤدي إلى الشعور بحالة من الإحباط والانهيال الوجداني، وما يترتب على ذلك من سلبية وإرادة عاجزة. كما تعمل ثقافة الصورة أيضاً على أن يرى الناس أنفسهم بوصفهم أفراداً معزولين يعيش كل منهم لنفسه، ويتبادلون التأثير من خلال رموز الاستهلاك وسيطرة القيم المادية للحياة، مما يؤدي إلى تفرغ العالم من المعنى، ومن التنوع والتعدد وإمكانية ممارسة النقد أو الثقافات الإيجابية الذي يحفظ للثقافات المحلية خصوصيتها. (سعادنة، جمال، ٢٠١٦، ص ٦١)

وفي نفس السياق يرى مراد أن الصور والإشارات والنصوص المرئية على الشاشات الدائمة البث باتت تشكل تهديداً لمنظومة القيم وتغير أيضاً في المرجعيات الوجدانية وأنماط الحياة؛ حيث أصبحت كثيراً من الثقافات والشعوب عارية أمام تدفق الرسائل والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزاً جديدة تمتليء بها مخيلة المشاهد بعارضات الأزياء ونجوم الكرة والفن والأطعمة وأنماط السلوك واللبس. وبذلك تمكنت العولمة من اختراق الحدود الثقافية انطلاقاً من مراكز صناعة وترويج الثقافة السائدة ذات الطابع الغربي، عبر آليات التأثير الإلكتروني مستخدمة الصورة بدلاً من الكلمة لصالح الفضاء الثقافي الذي يعزز الغالب وثقافته ونظرياته على حساب قيم الشعوب المغلوبة، مهدداً إياه بالانزواء والاحتفاء بالتاريخ والتراث أو الذوبان في خضم الثقافة السائدة والضياع في تيارها

الجارف. فالأعمال الدرامية مصنوعة بمواصفات خاصة تهدف إلى تحقيق المتعة البصرية وتحييد الوعي تمهيدا لاستمالاته في خطوة لاحقة، وهي تقوم على حيكات يتم نسجها في موضوعات شديدة الإثارة ويحرص أصحابها على توظيف كل الخبرات والوسائل الفنية والتكنولوجية، وكل ما يعمل على إقناع البصر ودغدغة الحواس، والتلاعب بالعواطف وتغييب الوعي في آن واحد. وهو ما يؤدي إلى تفرغ العالم من المعنى. ولذا يرى أن ما يتعولم اليوم ليس قيم الإخاء والتنمية وانحسار الفقر والجوع بل العكس تماما، ما يتعولم هو الفقر والبؤس والبطالة والخوف والقلق، والمخدرات والفساد المعمم والجريمة المنظمة، ما يتعولم ليس الحكمة والعقل بل اللاعقل واللامعنى والنهم الذى لا يشبع. (مراد، بركات محمد، ٢٠٠٧، ص ٢-٣)

من كل ما سبق ترى الدراسة الحالية أن هناك علاقة قوية بين ثقافة الصورة واستلاب الإنسان العربي؛ حيث استهدفت في المقام الأول عقل الإنسان ووعيه وقدرته على الاختيار، ومن ثم فقدان المعنى والضبط والتحكم، وفقدان هويته، وعزله عن ثقافته ووطنه، وترسيخ الشعور بالنقص والعجز والإحباط، واللاعقلانية، وانعدام الوعي، وهي جميعها من مضامين مفهوم الاستلاب.

## ٢- الهيمنة الغربية في مقابل الضعف العربي

ترى الدراسة الحالية أن الهيمنة الغربية هي أحد وسائل الاستلاب الفكري والثقافي للإنسان العربي؛ إذ تفرض ثقافة معينة من المتسلط على المتسلط عليه بشكل ظاهر أو خفي، وهنا يتبدى الشعور بالعجز وضعف الإرادة الحرة. كما ترى أن الفجوة الحضارية الكبيرة بين الشرق والغرب من أهم العوامل ذات العلاقة باستلاب الإنسان العربي؛ خاصة أن هذه الفجوة متعددة الأبعاد؛ فالغرب يفوق الشرق في الجوانب التقنية والتكنولوجية والعلمية والعسكرية والاقتصادية. وهذا من شأنه أن يخلق نوعا من الشعور بالهزيمة؛ حيث تصبح العقلية العربية مهزومة تعاني من الإحساس بالعجز والخوف والشعور بالتقصير والافتقار إلى المبادرة والهروب من الواقع، فلا تجد في الماضي إلا ما يمثل عزاء نفسيا لها، وهنا تميل إلى النكوص نحوه والاكتفاء بهذا العزاء فقط.

ويرى إياد أن العقلية العربية أصبحت نتيجة لذلك سطحية جوفاء تميل إلى الأخذ في تفسير الأمور بتفكير خيالي وبتفسيرات ساذجة، وهذه السطحية انعكست على تفسير وإدراك أبعاد ومعنى الهزيمة. (زعلان، إياد، ٢٠١٣، ص ٤)

وفي نفس السياق يرى شرابي أن الشخصية العربية شخصية مستلبة انهزامية غير قادرة على المبادرة والحضور بحكم الشروط التاريخية التي تحيط بها. (شرابي، هشام، ١٩٩١، ص ٦٥-٥٥) ويختلف الباحثون في تحديد مفهوم الهيمنة وذلك حسب المنظور الذي ينطلق منه الباحث، ورؤيته التي تؤطر لذلك المنظور، فالبعض يتحدث عن الهيمنة العسكرية والبعض يتحدث عن الهيمنة الاقتصادية أو الهيمنة السياسية أو الهيمنة الثقافية، والبعض يراصد بينها وبين مفهوم الغزو الثقافي. وإحداث الهيمنة والسيطرة كان على الدول الكبرى لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية أن تمتلك الأدوات التي تمكنها من ذلك، وهو ما حدث بالفعل حيث كانت القوة العلمية والعسكرية والاقتصادية من نصيبها. وستعرض الدراسة فيما يلي لبعض مظاهر هذه القوة، وستبدأ بالإنتاج العلمى والمعرفى على اعتبار أن العلم والمعرفة هما أساس التقدم بل والتحكم في الآخرين، فالباحثة على يقين كامل بأن

من يمتلك المعرفة والعلم يمتلك في ذات الوقت القوة والهيمنة في كافة الجوانب الأخرى الاقتصادية والعسكرية والتقنية وغيرها؛ فال تقدم في الجوانب الأخرى لا يمكن أن يتحقق بدون علم أو معرفة. وبالوقوف على الإنتاج المعرفي للعرب مقارنة بمثيله في الغرب يلاحظ البون الشاسع بينهما، وهناك العديد من المؤشرات الدالة على ذلك، وهو ما ستورده الدراسة فيما يلي.

بالنظر إلى واقع التمويل العربي للبحث العلمي يلاحظ أنه يختلف كثيراً عن المعدل العالمي للإنفاق على البحث العلمي، ويعد القطاع الحكومي الممول الرئيس لنظم البحث العلمي في الدول العربية، حيث يبلغ حوالي ٨٠٪ من مجموع التمويل المخصص للبحوث والتطوير مقارنة بـ ٣٪ للقطاع الخاص، و ٧٪ من مصادر مختلفة. وذلك على عكس الدول المتقدمة وإسرائيل حيث تتراوح حصة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي في اليابان ما بين ٧٠٪، و ٥٢٪ في إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

لذا فإن البحث العلمي في الدول العربية يتخلف كثيراً عامًا بعد عام، رغم زيادة معدل الإنفاق العربي على البحث العلمي في الفترة من عام ١٩٧٠م، وحتى عام ٢٠٠٥م، لكن هذا التقدم الضئيل لا تأثير له على الفجوة الكبيرة بين العرب والغرب مقارنة بالوضع العالمي المتسارع.

ومن جانب آخر فإن مخصصات البحث العلمي في الدول المتقدمة تزداد عامًا بعد آخر، إذ تتضاعف كل ثلاث سنوات تقريبًا، وتتجاوز نسبة مخصصات البحث العلمي في بعض الدول المتقدمة ٤٪ من إجمالي الناتج القومي (فتحي، إسماعيل بن حسين عبدالله، ٢٠١٥، ص ١).

وقد أكدت إحدى الدراسات نفس النتيجة أي ضعف الإنفاق على البحث العلمي؛ حيث أشارت إلى أن العالم العربي يعد من أقل المناطق في العالم إنفاقاً عليه كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي؛ إذ لم تتخطى النسبة ٠.٢٪، مقارنة بـ ٢.١٨٪ على صعيد العالم. وأن الإسهامات العربية في الإنتاج العلمي المنشور في دوريات عالمية يشكل (١.٣٣٪) من إجمالي المقالات العلمية المنشورة على الصعيد العالمي، في حين أن سكان العالم العربي يمثلون (٤.٦٪) من إجمالي سكان العالم. (الهيبي، نوزاد عبد الرحمن، ٢٠١٧، ص ٦٨)

كما أشار تقرير التنمية الإنسانية العربية أن إسرائيل تتفوق على البحث العلمي ضعف ما ينفق في العالم العربي، ففي عام ٢٠٠٤ وصلت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل إلى ٤.٧٪ من ناتجها القومي الإجمالي. علمًا بأن معدل ما تصرفه حكومة إسرائيل على البحث والتطوير المدني في مؤسسات التعليم العالي يوازي ٣٠.٦٪ من الموازنة الحكومية المخصصة للتعليم العالي بكامله، بينما يصرف القطاع الخاص ما نسبته ٥٢٪ من الإنفاق العام على الأبحاث والتطوير. وإذا قورن وضع إسرائيل بالدول المتقدمة الأخرى يلاحظ أنها تنافس بل وتسبق كثيراً من الدول الغنية والبلدان المتقدمة في هذا الميدان؛ حيث تحتل إسرائيل المركز الثالث في العالم في صناعة التكنولوجيا المتقدمة بعد وادي السيليكون في كاليفورنيا وبوسطن، والمركز الخامس عشر بين الدول الأولى في العالم المنتجة للأبحاث والاختراعات. أما بالنسبة لعدد سكانها قياساً لمساحتها فهي الأولى في العالم على صعيد إنتاج البحوث العلمية. (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٣، ص ٧٣)

وبالنسبة لعدد الباحثين لكل مليون باعباره أحد من المعايير الهامة للتقدم، فيقدر في العالم العربي بحوالي ١٣٦ باحثاً لكل مليون مواطن وهو ما يمثل عشر ما لدى إسرائيل، فيما تمتلك روسيا حوالي

٣٣ ضعفاً، وعشرين ضعفاً في الاتحاد الأوروبي، أما في أمريكا فيصل إلى ٤٠ ضعفاً. (كلاع، شريفة، ٢٠١٥، ص ٣-٤)

وتقوم أمريكا بدعم وتمويل ٣١% من البحوث العلمية العالمية، كما أن ٤٢% من الشركات التي تنفق علي البحوث والتطوير في العالم أمريكية، وهي بافيزر، وفورد موتور، وجونسون، وميكروسوفت. وهذه الشركات جميعها تنفق (١٥) خمس عشرة بليون دولار علي بحوث التنمية والابتكار. أما بالنسبة للعلماء الأجانب في الولايات المتحدة الأمريكية فيوجد حوالي (٣.٣) مليون عالم أجنبي يعملون في الولايات المتحدة الأمريكية، منهم ٥٦% من آسيا، و ٥% من أفريقيا و جنوب أمريكا و الكاريبي. (David, N., ٢٠٠٣, P.١).

وفيما يتعلق بالإنتاج العربي للنشرات العلمية، تبلغ نسبة ما تنشره إسرائيل ١.٣%، وما تنشره الهند ٢.٢%، وأوروبا الغربية ٣٧%، وأمريكا ٣٤%، والدول العربية جميعها ١%. وذلك وفقاً لتقرير التنمية البشرية الصادر عام ٢٠٠٣. (تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣، ص ٧٣).

وهي أرقام تدل على ضآلة ما تنشره الدول العربية؛ حيث إن إنتاج ما تنشره إسرائيل بمفردها يفوق ما تنتجه الدول العربية مجتمعة. أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن إنتاجها يفوق ما تنتجه الدول العربية جميعها ب ٣٤ ضعفاً.

وفي نفس السياق تشير الأرقام للبون الشاسع بين العرب والغرب فيما يتعلق بعدد المقالات المنشورة في دوريات عالمية في مجال العلوم والتقنية؛ حيث تشير إلى أن الإنتاج العلمي لا يزال منخفضاً ولم يتخطى (١٠٠٠) سوى في مصر حيث بلغ (٢٥١٥) مقالا، والمملكة العربية السعودية (١٤٩١)، وتونس (١٠١٦)، مقارنة بتركيا (٦٧٨١)، وسويسرا (٨٧٤٧) وكوريا الجنوبية (١٦٣٩٦). (ماكجين، تيريز، ٢٠١٥، ص ١٢٧)

وترى الدراسة الحالية أن التأخر المعرفي العربي لا يرجع إلى ضعف التمويل السابق الذكر فحسب، لكنه بالإضافة إلى ذلك قد يرجع إلى افتقار أغلب المؤسسات العلمية والجامعات العربية إلى أجهزة متخصصة في تسويق الأبحاث ونتائجها وفق خطة اقتصادية إلى الجهات المستفيدة، وكذلك ضعف التنسيق بين مراكز البحوث والقطاع الخاص. هذا بالإضافة إلى غياب المؤسسات الاستشارية المختصة بتوظيف نتائج البحث العلمي وتمويله من أجل تحويل تلك النتائج إلى مشروعات اقتصادية مربحة. إضافة إلى ضعف القطاعات الاقتصادية المنتجة واعتمادها على شراء المعرفة من ناحية أخرى فإن مراكز البحوث والجامعات العربية ومن واقع عمل الباحثة تعاني مشكلات عديدة من بينها انشغال بعض أعضاء هيئة التدريس في العمل الإضافي، وندرة البحث العلمي الجماعي؛ فالبحوث التي تجري بين جدرانها من جانب أساتذتها إنما هي بحوث فردية لأساتذة يحاولون الإنتاج العلمي بغية الترقى أو النشر، وهي بحوث أضعف من أن تحل مشكلات المجتمع أو تعمل على تقدمه، هذا بالإضافة إلى انشغال أعضاء هيئة التدريس بالمحاضرات والتدريس والأعمال الإدارية.

وتؤكد هذه الملاحظات إحدى الدراسات التي أشارت إلى أن هناك انفصال شبه تام بين المراكز البحثية وبين المجالات التطبيقية خارج أسوارها أو معاملها، وكذلك انفصال الصلة بين الجامعات والإنتاج، وابتعاد الجامعات عن إجراء البحوث المساهمة في حل المشكلات المجتمعية في كثير من الأحيان، إضافة إلى عدم مشاركة المؤسسات الكبرى والشركات والأثرياء من الأفراد في نفقات

البحث العلمي، كذلك عدم وجود حرية أكاديمية كافية كذلك التي يتمتع به البحث العلمي عند الغرب، وكذلك البيروقراطية والمشكلات الإدارية والتنظيمية، والفساد المالي والإداري في مؤسسات البحث العلمي الحكومية، إلى جانب تأخر عملية نقل المعلومة التقنية من الدول المتقدمة إلى الدول العربية، وبقاء كثير من مراكز البحوث العربية تحت قيادات قديمة مترهلة لا سيما في العلوم التكنولوجية والفيزيائية، ويضاف إلى ذلك إهمال التدريب المستمر للباحثين. (فتحي، إسماعيل بن حسين عبدالله، ٢٠١٥، ص ١)

كما قد أشارت إحدى الدراسات إلى أن البحث العلمي في العالم العربي يقوم في أغلبه على البحوث الفردية من الباحثين والعلماء وبصورة فردية في المختبرات، وهذا على عكس ما يتطلبه اقتصاد المعرفة الذي يقوم البحث العلمي فيه على العمل الجماعي، حيث أصبحت التكتلات البحثية هي سمة المجتمع المعاصر، فأغلب البحوث في العالم المتقدم تجرى في الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية الكبرى طبقاً للتكتلات البحثية، أما في العالم العربي فقد انعكس غياب التكتلات البحثية أو ضعفها بين العلماء في العالم العربي في عدم وجود مجاميع عملية فاعلة والاعتماد الكبير على الاستيراد المباشر للتكنولوجيا والخبرات العالمية؛ حيث تدفع الدول العربية أموالاً طائلة للخبرات الدولية وهو ما يحمل المشروعات العربية تكاليف إضافية. (الهيتمي، زاد عبد الرحمن، والشمرى، حسيب عبد الله، ٢٠١٧، ص ٦٨)

والضعف في البحث العلمي في العالم العربي لم يقتصر على الكم فحسب بل أيضاً على الكيف، أي على نوعية وجوده هذا الإنتاج العلمي؛ فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن النشر العلمي في العالم العربي عادة ما يكون وسيلة تقييم أساسية للباحثين لمجرد حصولهم على الترقية الوظيفية في الغالب، كما أن معظم النشرات العلمية تنصف بضالة البحث في العلوم الأساسية؛ حيث إن كثيراً منها لا يتضمن إضافات علمية أساسية تجعل منها مرجعاً ومرتكزاً لأعمال علمية لاحقة. (Rifai, S., ٢٠٠٧، P. ٦١)

وترى الدراسة الحالية أن ضعف الإنتاج العلمي للعرب أي كانت أسبابه أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى هجرة العديد من الكفاءات العربية للخارج، وهذا الرأي تؤكده الأرقام؛ فقد أشارت إحصاءات منظمة العمل العربية إلى أن الوطن العربي يساهم ب (٣١.٥%) من هجرة الكفاءات من الدول النامية، وأن (٥٠%) منهم من الأطباء، و(٢٣%) منهم من المهندسين، و(١٥%) من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوروبا وأمريكا وكندا تحديداً، وأن (٥٤%) من الطلاب العرب الذين يدرسون بالخارج لا يعودون إلى أوطانهم. (قويدر، إبراهيم، ٢٠٠٧، ص ١)

وتشير تقديرات منظمة العمل العربية إلى أن الخسائر التي منيت بها الدول العربية نتيجة لهجرة الكفاءات العلمية العربية خلال عقد السبعينيات من القرن العشرين قاربت (١١ مليار) دولار، وأن الخسائر التي يتكبدها الاقتصاد العربي من جراء هذه الظاهرة تقدر بنحو (٢٠٠) مليار دولار أمريكي. (منظمة العمل العربية، ٢٠٠٨، ص ٦٩)

وترى الدراسة الحالية أن هذه الأرقام تؤكد فداحة الخسائر الواقعة على العالم العربي من جراء هجرة الكفاءات العلمية للخارج، والتي كانت من باب أولى استثمار عقولهم بما يحقق الفائدة لأوطانهم، ولا يقتصر الأمر على الناحية المادية فحسب بل يؤثر ذلك أيضاً على نفسية هذه الكفاءات

عند عودتهم لبلادهم الأصلية إذا ما أرادوا العودة لخدمة بلادهم؛ حيث يجدون مناخا مغايرا تماما لما اعتادوا عليه في بلاد المهجر، من حيث قلة الإمكانيات والتعقيدات الإدارية والمناخ غير الملائم مما يضطرهم أحيانا إلى العودة مرة أخرى للخارج بسبب عدم قدرتهم على التأقلم على هذا المناخ. ولم يكن تفوق الغرب في النواحي العلمية السابق الإشارة إليها فحسب، بل إلى جانب ذلك كانت القوة العسكرية التي نمت مع نمو القدرات العلمية والاقتصادية، بل لعل الدافع نحو تحقيق القوة العسكرية ارتكز إلى التخطيط العلمي والاهتمام بالمؤسسات العلمية والاقتصادية وجعلها تحت إشراف ورقابة المؤسسة العسكرية والأمنية. كما تمتع الغرب بتأثير عسكرى فعال من خلال تحالف استراتيجى عالمى لا يزال متماسكا حتى بعد انتهاء الحرب الباردة؛ فحلف الناتو يعد الآلية التي تعبر بواسطتها الولايات المتحدة الأمريكية عن دورها العسكرى ليس في أوروبا فحسب، وإنما على الصعيد العالمى مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية مشاركا رئيسا حتى في الشؤون الداخلية الأوروبية. (زغنيو، بروجنسكى، ١٩٩٩، ص ٤٢)

أما القوة الاقتصادية للغرب فهي المحرك الأساسى لكل هذه القوي، ويعتبر الاقتصاد الأمريكى من أقوى اقتصاديات العالم. وهو يعتمد على اقتصاد السوق المبني على الاستثمار الحر والمنافسة التجارية. وتمتلك الولايات المتحدة ثروات هائلة مثل البترول، والغاز الطبيعي، والفحم، واليورانيوم. ويقدر حجم الناتج الإجمالى لها عام ٢٠٠٦ بنحو ١٣.٢٢ تريليون دولار بالقيمة الإسمية أو ما يعادل بالقوة الشرائية ١٢.٩٨ تريليون دولار، وهو ما يجعل أمريكا تحتل المرتبة الأولى عالمياً من ناحية حجم الاقتصاد بفارق

(United state, the world fact book, ٢٠١٩, P.١) كبير عن أقرب منافسيها.

كما تعد الولايات المتحدة الأمريكية الأولى في العالم من حيث الناتج القومى العالمى تقريبا، وقد بلغ معدل نمو الاقتصاد الأمريكى حوالى (٢.٢%) عام ٢٠٠٧، علما بأن ١٢% فقط من سكان الولايات المتحدة الأمريكية هم ممن تجاوزوا الخامسة والستين من العمر، ومن المتوقع أن ترتفع تلك النسبة إلى (٢٠%) من السكان بحلول عام ٢٠٢٥ مقارنة باليابان؛ فقد وصلت النسبة إلى (٢٠%) من السكان ممن تجاوزوا الخامسة والستين من العمر، مما يعنى أن الزيادة في عدد السكان الأصغر سنا سوف تحافظ على حيوية الاقتصاد الأمريكى. كما أنها تعتبر أكبر قوة تجارية؛ إذ شكلت قيمة صادراتها من السلع حوالى (١١.٩%) من قيمة الصادرات العالمية في عام ٢٠٠١. وتأتى المكانة الاقتصادية لها على الصعيد العالمى من خلال استحوادها على معظم الشركات المتعددة الجنسيات في العالم؛ حيث تسيطر الولايات المتحدة الأمريكية على (١٦٤) شركة عملاقة في العالم من أصل (٥٠٠) شركة، وتحتل (٣٢) شركة أمريكية المراتب الأولى بين المائة، فضلا عن اتساع نشاطها الذى يشمل كافة فروع الإنتاج والخدمات مقارنة بالشركات الأخرى اليابانية والأوروبية.

أما عن القوى التكنولوجية فقد شهدت الولايات المتحدة الأمريكية تطورا كبيرا في قدراتها التكنولوجية؛ إذ تعد في مقدمة الدول الرأسمالية التي دشنت ما يسمى بعصر الثورة الصناعية الثالثة أو ثورة المعلومات، وكانت لها الريادة في مجالات التكنولوجيا العسكرية وتكنولوجيا الفضاء والاتصالات والعقول الإلكترونية والهندسة والوراثية وغيرها. وفى التكنولوجيا العالية احتلت المركز الأول في إنتاج الإلكترونيات بنسبة (٤٠%) مقابل (٢٧%) لليابان، كما حافظت على موقع الصدارة في



مجال تصدير الطائرات والكيميائيات الصناعية والزراعية والمحركات والآلات المكتبية، في حين احتلت المركز الثاني في صادرات الأدوات الكهربائية والمواد البلاستيكية والعقاقير الطبية، وكذلك في إعداد الحاسبات وإنتاج البرامج وتطويرها. (على، سليم كاطع، ٢٠٠٩، ص ١٥٦)

أما القوة الإعلامية للغرب فهي تشكل -خصوصاً في العصر الحالي- واحدة من أهم أنواع القوى؛ حيث أدرك الغرب مبكراً أهمية الإعلام في الإقناع وتوجيه الرأي العام وصناعته والتأثير في مجرى الأحداث. وقد ارتبطت توظيف الإعلام في الغرب بالأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، كما ازدادت الحاجة إليه مع الحروب وتوظيف المعلومات فيها للتأثير على الخصم فيما عرف بالحرب النفسية؛ إذ إن انتقاء المعلومة والتحكم في تدفقها من شأنه أن يقلب الحسابات والموازن.

ومع تطور تقنيات الإعلام وارتباطه بالتطور التكنولوجي، الذي يمتلكه الغرب نفسه أصبح الإعلام سلطة قوية وأصبحت الفجوة بين دول العالم الثالث والغرب فجوة كبيرة؛ إذ أصبح الغرب الآن يتحكم في تصدير التقنية الإعلامية وتوزيع المعلومة.

وتعتبر القوة الإعلامية وجه من أوجه السيطرة الغربية في العصر الحالي وذلك لقدرتها على توجيه الرأي العام وإقناع الأفراد بالتوجهات السياسية والفكرية والمواثيق القانونية والمشاريع الاقتصادية. وأصبح الإعلام يؤدي وظائف غاية في الدقة والخطورة. ومن مظاهر هذه القوة الإعلامية أن أمريكا علي سبيل المثال تسيطر علي ٦٥% من حجم الاتصال الدولي المتعلق بالأخبار والبرامج التلفزيونية وأفلام السينما والإعلان التجاري. كما تسيطر أيضا الوكالات الغربية علي ٨٠% من الأخبار والمعلومات التي يتم توزيعها دولياً، بينما تؤكد معلومات أخرى أن واشنطن لوحدها تسيطر علي ٦٥% من حجم الاتصال المتداول في العالم، كما أن أمريكا نفسها تحتكر ٣٥% من عملية النشر في العالم، و ٦٤% من الإعلان الدولي، و ٤٥% من التسجيلات، و ٩٠% من أشرطة الكاسيت، و ٣٥% من البث عبر الأقمار الصناعية. (الحديثي، مؤيد عبد الجبار، ٢٠٠٢، ص ١١٥)

وهذا يعني أن أكثر من ثلثي حجم الإعلام الذي يبيث في العالم قادم من أمريكا. ولعل ما سبق يوضح مدى تفوق الغرب في كافة المجالات في الوقت الذي يقابله الضعف العربي وهو ما جعل لدى الغرب القدرة علي فرض ثقافته علي العالم، والذي أدى بالتالي إلى حالة من التبعية له. والمتتبع لقضايا المجتمعات وتأثرها بالمجتمعات والحضارات الأخرى يلاحظ أن الضعيف هو الذي يتأثر بالقوي ويقلده ويصبح بالنسبة له القدوة التي يقتدي بها، لذا يحاول نقل تجاربه وإنجازاته علي كافة المستويات التربوية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والتكنولوجية.

ومسألة التقليد والاتباع للحضارات القوية من القضايا التي شغلت أذهان الكثير من الباحثين الاجتماعيين قديماً وحديثاً وحازت اهتمامهم. ويذكر ابن خلدون في مقدمته الشهيرة "أن المغلوب مولع أبداً بالإقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده. والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغلط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الإقتداء أو لما تراه، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في أشكالها بل وفي سائر أحواله. ويحذر ابن خلدون من

نتيجة ذلك قائلا "أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء، والسبب في ذلك ما يحصل في النفوس من التكاثر إذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم ، فيقصر الأمل ويضعف، فإذا ذهب الأمل بالتكاثر وذهب ما يدعو إليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهية بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم".

(ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، ١٨٥٨، ص ١٢٣)

والحقيقة أن العلاقة بين العرب والغرب لم تقتصر على حد التقليد، بل هو اتباع دون وعي يفقد المجتمع هويته وكيانه ويسلبه إرادته.

والخطورة في كل ذلك أن المجتمع أصبح يرى نفسه بمنظور الآخرين، ويصف نفسه بما يصفه به غيره ويبيد استعداده وبشكل طوعي لأن يعتبر مزاياه عيوباً وعيوب الآخرين مزايا، ومن نتائج ذلك استمرارية التهرب من المسؤولية والتماهي في إلقاء المسؤولية والتبعية على الآخر دون دراسة وتحليل الأسباب التي سمحت بتسلل هذا الآخر إلى واقعه والسماح له بنموه وتأثيره عليه.

أيضا ممكن الخطر هو شعور الإنسان العربي بالانهزامية وعدم القدرة على الفعل وضعف الإرادة، وهو ما أكدته إحدى الدراسات التي أوضحت أن العقلية العربية تعاني من الشعور بالهزيمة فيرى إياد إنها عقلية مهزومة تعاني من الإحساس بالعجز والخوف والتقصير والافتقار إلى المبادرة والهروب من الواقع، وهي عقلية تستجدي عزاءها نفسياً من الماضي، لذا فهي تميل للنكوص نحوه والاكتماء بهذا العزاء فقط، وهو ما جعلها تبدو كأنها عقلية سطحية جوفاء تميل إلى الأخذ في تفسير الأمور بتفكير خيالي وبتفسيرات ساذجة، وهذه السطحية انعكست على تفسير وإدراك أبعاد ومعنى الهزيمة.

(زعلان، إيا، ٢٠١٣، ص ٤)

ويؤكد ذلك أيضا أحد الباحثين في دراسته أن الشخصية العربية مستلبة وانهزامية وغير قادرة على المبادرة والحضور بحكم الشروط التاريخية التي تحيط بها. (شرابي، هشام، ١٩٩١، ص ٦٥)

وترى الدراسة الحالية أن هناك بعض الصفات السلبية في الإنسان العربي والتي عززت فكرة الهزيمة فيه، وهي خياله الخصب الذي يقوده عادة للهروب من الواقع بل وتزييفه أحيانا؛ حيث إن عاطفة العربي أقوى من عقله مما جعلها مقياس الواقع عنده، وهو الأمر الذي جعله بعيداً عن التعامل مع الواقع بموضوعية، وكون العاطفة تغلب على العقل أحيانا عند العربي فهذا يعني مزيداً من التفكير العاطفي وتراجعها في التفكير العلمي، وهذا ما أدى إلى ترسيخ فكر الهزيمة في العقلية العربية، وظهور بعض الممارسات التي تبرر حدوث الفشل والهزيمة كالكذب والتبرير، والتعني بالماضي ومحاولة إسقاط اللوم على الآخرين.

وقد حاول البعض استعراض بعض الخصائص التي نتجت عن فكر الهزيمة، والذي تمثل في إبراز السلبية في الأنا العربية؛ ويرى حسن حنفي أن ثقافة الأنا في الذات العربية تقوم على التقرير والتصغير. وصورة الآخر في الأنا تقوم على التعظيم والتفخيم، بمعنى أن صورة العرب في نظر أنفسهم هي صورة مهزومة وفي نظر الآخرين هي أيضاً كذلك، وصورة الآخرين في نظر العرب

أنهم متفوقون وصورتهم في نظر أنفسهم متفوقون. ولذا فهو يرى أن الذات العربية عجزت عن معرفة أنها، فبقيت غير قادرة علي مواكبة العصر الحديث، وحكمت علي نفسها بالهزيمة قبل أن تهزم فبقيت مهزومة.

(حنفي، حسن، ٢٠٠٤، ص ٩)

ويتفق معه شوقي جلال في ذات الرؤية بل ويرى أن البحث عن الأنا في حد ذاته هو سمة الضعفاء، ويذكر في هذا الصدد إن البحث عن الذات سؤال الضعفاء المهزومين؛ فالقوي لا يسأل من أنا وإنما يفعل ويفكر لنفسه ويكون فعله وفكره هما وثيقة وجوده وبيان ذاتيته وشهادة الآخرين عنه.

(جلال، شوقي، ١٩٩٨، ص ٤٨)

ومما سبق ترى الدراسة أن هيمنة الغرب على النحو الذي تم عرضه والذي شمل كافة المجالات الاقتصادية والعلمية والعسكرية والتكنولوجية ومن ثم السياسية، في مقابل الضعف العربي في ذات المجالات، كان له أكبر الأثر في تبعية الأمة العربية بأجمعها للغرب في فكره وثقافته وكافة مظاهر حياته، وأصبح الإنسان العربي بذلك عاجزا عن الاختيار ومقتندا للإرادة الحرة، كما أصبح يسير في فلك الدول القوية دون وعي، بل وأصبح مقتنعا بضالة حجمه وقدراته في مقابل عظم الآخرين. هذا كله أدى إلى حالة من الاستسلام للقوى الأخرى غربية كانت أو غير ذلك بالضعيف لا يملك قراره ولا إرادته - وهو ما أشار إليه ابن خلدون كما سبق القول - بل يملكها الآخرون ويخططون له ولحاضره ومستقبله، كل ذلك كان له انعكاسه على الإنسان العربي؛ إذ أصبح مستلبا حتى وإن كان داخل وطنه، وأصبح الإنسان العادي يشعر بالغرابة والاعتراب عن مجتمعه لما يشاهده من تفاصيل يومية بعيدة كل البعد عن ثقافته التي نشأ عليها، والتي صنعها الآخرون له؛ فملبسه وطعامه وأجهزته ومن ثم قراراته وحياته من صنع الآخرين، فماذا تبقى له من ذاته؟!

كل ذلك يشعره بالهزيمة والعجز وال فشل والضعف ونقص التحكم في مجريات الأمور والأحداث، وبالتالي ضعف القدرة على الاختيار وكلها معانى تدخل في إطار مفهوم الاستلاب المشار إليه سابقا.

### ٣- الاستبعاد الاجتماعي

ترى الدراسة الحالية أن الاستبعاد الاجتماعي يعد من العوامل الهامة في ترسيخ مفهوم الاستلاب لدى الإنسان العربي؛ حيث إن شعور الفرد بعدم الانتماء وعدم الاندماج الناتجين عن الاستبعاد في المجتمع أيا كانت أسبابه وأيا كانت طريفته، سيؤدي حتما إلى إحساسه بالاعتراب عن مجتمعه، والشعور بالعجز وانعدام الإرادة والانسحاب والتخلي ومن ثم الاستلاب.

ويعد الاستبعاد الاجتماعي من المفاهيم الهامة والتي ظهرت بقوة في السنوات الأخيرة في مجالات معرفية مختلفة مثل الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، وغيرها من العلوم.

وقد استخدم المفهوم لأول مرة عام ١٩٧٤ في فرنسا من قبل رينيه لينوار وذلك للإشارة إلى الأفراد الذين يعانون من مشكلات اجتماعية ولا يتلقون الحماية من قبل التأمين الاجتماعي كأفراد المعاقين جسديا وعقليا وغير المنسجمين اجتماعيا. (الديب، هدى أحمد، ٢٠١٥، ص ٢٨)

وقد عرف الاستبعاد الاجتماعي بأنه الحرمان من الموارد والحقوق بالإضافة إلى أنه مجموعة من العوامل التي تحول دون مشاركة الفرد والجماعة في الأنشطة المجتمعية، وعدم القدرة على

التفاعل والانصهار في بوتقة المجتمع الأوحى الذى يستوعب الكل دون استثناء. (بن تركى، أسماء، ٢٠١٢، ص١٣)

كما عرف بأنه فقدان القدرة ومعظم مقومات القوة، وهو ما تم التعبير عنه بمصطلح Disempowerment، و Powerlessness، وبذلك فهو الحالة التي تحول دون مشاركة الفرد والجماعة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع ما. (الديب، هدى أحمد، ٢٠٠٨، ٢٠١٥)

ويلاحظ من التعريف السابق أن الاستبعاد الاجتماعى يتفق مع مفهوم الاستلاب فى تضمينه لبعض المعانى مثل فقدان القدرة وانعدام القوة.

ومن خلال استقراء الباحثة للعديد من الكتابات التي تناولت هذا الموضوع، وجدت أنها أشارت إلى أن الاستبعاد لا يعنى الفقر ولا يعنى بالضرورة نقص المال، وإن كان الفقر بالطبع قد يكون أحد أسبابه، ولكنه فى حقيقة الأمر يتضمن مجموعة من العوامل التي تتراكم معا وبالتدرج لتشكل شخصا مستبعدا من مجتمعه وغير قادر على الاندماج فيه، ولا شك أن لهذه الحالة عوامل سياسية و اقتصادية و اجتماعية وثقافية.

#### لذلك يصنف الاستبعاد الاجتماعى لنوعين :

الأول الاستبعاد القسرى، وهو الأكثر انتشارا والذى تناولته العديد من الدراسات وهو ويشير إلى استبعاد الطبقات الفقيرة والمهمشة والمحرومة، وهم الأشخاص المستبعدون لا إراديا بفعل العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية، وهؤلاء يعانون حرمانا اقتصاديا واجتماعيا له مظاهر عدة تظهر فى المسكن والمأكل والملبس والعلاقات الاجتماعية والخدمات المؤسسية.

الاستبعاد الطوعى: وهو استبعاد الأغنياء أنفسهم عن الحياة العامة؛ فهم يملكون رأس المال الكافى الذى يضمن لهم العيش فى رفاهية ولهم مؤسساتهم التربوية والتعليمية والخاصة من دور الحضانة إلى الجامعات الخاصة، وما إلى ذلك من مستشفيات ووسائل نقل وموصلات، أي أنهم يعيشون فى مجتمعات خاصة ولا يسمح لعامة الشعب أن يتغلغلوا بداخلها، فلهم حياتهم الخاصة ونظامهم الخاص وعلاقاتهم الاجتماعية الخاصة. (Wilson, A., 2000, P. 928)

والاستبعاد الطوعى بذلك يتميز عن القسرى بأنه لا يعنى الحرمان ولا التهميش ولا يشتمل بضرورة الحال على الفقر، بل إن الفرد فى هذه الحالة هو الذى يعزل نفسه عن المجتمع لأسبابه الخاصة وقد يكون من أعلى الطبقات الاجتماعية فى المجتمع، وقد يكون هذا هو السبب فى الاستبعاد وشعوره بعدم الاندماج، وقد لاحظت الباحثة أن أغلب الدراسات تناولت النوع الأول من الاستبعاد أى القسرى، بينما لم يحظ النوع الثانى بنفس القدر من الاهتمام على الرغم من أهميته.

#### وهناك عدة سمات للاستبعاد الاجتماعى منها:

النسبية: حيث لا يمكن تقدير الاستبعاد الاجتماعى إلا بمقارنة ظروف بعض الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات بظروف غيرهم فى مكان وزمان محددين.

الطرف المسبب: وفيه يستبعد الأشخاص بفعل أطراف مسببة.

الدينامية: لا يمكن أن تظهر خصائص الاستبعاد وأثاره السلبية إلا مع مرور الوقت فى شكل استجابة تراكمية. (الأمم المتحدة، ٢٠٠٨، ص١٢)

معنى ذلك أن ما قد يعتبره البعض استبعادا في مجتمع ما قد لا يعتبر كذلك في مجتمع آخر، وأن هذا الاستبعاد لا يحدث فجأة ولكنه نتيجة للعديد من العوامل التي تتراكم مع الزمن لتشكله.

ويرى البعض أن الاستبعاد الاجتماعي يتضمن عدة مفاهيم منها:

- **التمييز**: ويقصد به العمليات الاجتماعية والمؤسسية والقانونية والثقافية التي تميز بين الناس على أساس صفات لا إرادية مثل الدين و الجنس العرق والمرض والإعاقة والمواطنة واللغة والمكان، وهذا التمييز يمكن أن يعرقل الحراك الاجتماعي ويعرقل أيضا الحصول على الخدمات الاجتماعية مثل التعليم والرعاية الصحية وبحول دون المشاركة السياسية أو الالتحاق بسوق العمل.

**الحرمان**: والمقصود هنا ليس الحرمان المادي الناتج عن عدم قدرة الفرد على سد الحاجات الأساسية أو إعالة الذات أو الأسرة فحسب، بل يشمل أيضا المساس بالحقوق في الحصول على خدمات اجتماعية أساسية مثل الرعاية الصحية والتعليم، وعدم الاعتراف بهذا الحق؛ فالشخص المستبعد يمكن أن يكون محروما من المعرفة العامة التي توفرها المدارس النظامية ومحروما من المأوى والمسكن اللائق ومن حق الانتماء إلى المجتمع.

- **عدم التمكين**: ويقصد به مجموعة من عوامل التمييز أو ظروف الحرمان التي يعيشها فرد أو مجموعة من الأفراد والتي تحد من قدراته على تحقيق تغيير ظروفه المعيشية، أو تغيير ظروفه في المجال العام في المجتمع بأسره. وحالة عدم التمكين لا تعود إلى مفهوم عدم الانتماء فحسب بل تعود إلى فقدان التماسك الاجتماعي لأي مجتمع. (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا)، ٢٠٠٩، ص ١)

### وترى الديق أن هناك ثلاث رؤى لأسباب انتشار الاستبعاد الاجتماعي

➤ سلوك الأفراد وقيمهم المختلفة: حيث أكدت هذه الرؤية أهمية القيم الأخلاقية والتفسيرات السلوكية، كما ركزت تحليلها على الأفراد المستبعدين اجتماعيا وألفت اللوم عليهم، لأنها تعتبرهم المسؤولين عن وضعهم هذا بل هي تؤكد أنهم هم الذين وضعوا أنفسهم في هذا الموضع.

➤ أما وجهة النظر الأخرى فهي تؤكد أهمية المؤسسات والنظم ابتداء من دولة الرعاية أو الاشتراكية أو الرأسمالية والعولمة، ووجهة النظر هذه ترى أن المؤسسة والنظم المدنية والاقتصادية تجعل من الفرص المتاحة أمام بعض الأفراد والجماعات دون غيرهم فيها نوع من تقييد الفرص أمام الآخرين، الأمر الذي يعطى الانطباع بانتفاء الاستبعاد على الجانبين: الجانب الأول: وهو حصيلة هذا النظام أو المؤسسة، فهي في العادة غير مقصودة أو على الأقل خارج نطاق سيطرة أي فرد أو منظمة، والجانب الثاني: هو أنه لا يملك الأفراد المستبعدون اجتماعيا فرصة معالجة وضعهم.

➤ وتؤكد وجهة النظر الثالثة على أهمية التمييز ونقص الحقوق المنفذة فعلا، وبتحليلها يكون المستبعدون اجتماعيا واقعين تحت رحمة الأقوياء، وبالتالي فهم يلقون المسؤولية على الصقوة بصورة كاملة. (الديق، هدى أحمد، ٢٠١٥، ص ٢١٨)

وترى الدراسة أن الرؤية الثانية تتشابه إلى حد كبير مع الثالثة، من حيث أن كلاهما يحدث فيه الاستبعاد قسراً و رغماً عن الفرد، أما الحالة الأولى فتحدث بإرادة الأفراد أنفسهم. كما ترى الدراسة أيضاً أن الاستبعاد الاجتماعي قد يعود لعوامل عدة منها طبيعة المجتمع وثقافته السائدة، فالشعوب العربية مثلاً لا زالت مسألة اختلاف النوع ذكورا وإناثا من القضايا التي تشغل الكثيرين فيها. كما تعد الأسباب السياسية ومدى المشاركة في صنع القرار من العوامل التي تؤدي إلى الشعور بالاستبعاد الاجتماعي أو الاندماج الاجتماعي في المقابل. وقد يكون الشعور بالاستبعاد ناجماً عن بعض العوامل الاقتصادية والتي يقف على رأسها الفقر والحرمان من الخدمات والبطالة. ولعل ذلك يقودنا للحديث عن مظاهر الاستبعاد الاجتماعي في الوطن العربي.

### مظاهر الاستبعاد الاجتماعي في الوطن العربي

#### أ- الفقر

ترى الدراسة الحالية أن الفقر يعتبر من أهم عوامل الاستبعاد الاجتماعي في الوطن العربي، وتشير العديد من التقارير إلى وجود هذه المشكلة وبشكل واضح في العديد من البلدان العربية، فقد أشار تقرير التنمية الإنسانية عام ٢٠٠٩ إلى أن عدد الفقراء في الدول العربية الذين يعيشون تحت خط الفقر يبلغ حوالي ٣٤.٦ مليون فرد، وأن نسبة الفقر المدقع في بعضها بلغت ١٨%، وهي أعلى من النسبة التي كانت في التسعينيات من القرن العشرين؛ حيث كانت ١٧.٦%. وتتراوح نسبة الفقر الكلية وفق هذا الخط لحوالي ٤٠,٩% في مصر، و ٢٨,٦% في لبنان، و ٣٠% في سوريا، ويقدر التقرير أن النسبة الكلية للفقر في مستوى الخط الأعلى في حدود ٣٩,٩%. وبذلك فإن هناك ٦٥ مليون فقير عربي أي ما يقارب ضعف العدد الإجمالي الذي تضمنه قياس الفقر بموجب خط الفقر الدولي المساوي لدولارين في اليوم، وخط الفقر الوطني الأدنى على التوالي. وينتشر الفقر في المناطق الريفية خصوصاً في بعض البلدان مثل موريتانيا والأردن ومصر والمغرب واليمن وسوريا، وتشكل هذه الفئة الجزئية ٦٤,٤% من سكان الأرياف في المنطقة العربية.

ويؤثر الفقر في التحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية وبمستوى متابعتهم الدراسية بعد مرحلة التعليم الابتدائي. ففي مصر - كما أشار التقرير - على سبيل المثال تقل نسبة الأطفال الفقراء المنتظمين في المدارس الابتدائية بنسبة ٧% عن أقرانهم الميسورين، وتقل بنسبة ١٢% في مرحلة الدراسة المتوسطة، و ٢٤% في مرحلة الدراسة الثانوية. وفي المغرب تشير الإحصاءات إلى أن ربع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة لم يكملوا تعليمهم الابتدائي بسبب الفقر. وكذلك تسرب أعداد كبيرة من الأطفال الفقراء من المدارس لمزاولة العمل في سن مبكرة لمساعدة أهلهم. وإضافة إلى ذلك يؤدي الافتقار إلى المياه النظيفة وتغذية الأطفال دوراً مؤثراً في السودان وموريتانيا واليمن. (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠٠٩، ص ١١٤)

وترى الدراسة الحالية أن الفقر من المشكلات التي تلقى بظلالها على كثير من المشكلات المجتمعية؛ لما لها من علاقة بالصحة والتعليم والوعي والتطرف، من هنا كانت خطورته على الفرد والمجتمع على حد سواء.

ولا شك أن لذلك انعكاسات سلبية على شعور المواطن العربي بعدم الرضا؛ حيث تشير إحدى الدراسات إلى أن ذلك أدى إلى الشعور بالاستياء الناجم عن تدنى الحياة المعيشية والذي ظهر في عدم الرضا لدى الكثيرين، وبالطبع هناك اختلافات بين الدول، فالدول العربية الأكثر فقراً وصل معدل الاستياء فيها لما يقرب من ٥٥%، بينما هي في بعض الدول الأخرى خصوصاً دول مجلس التعاون الخليجي (١٢%)، وذلك كما أوضحته الدراسة. (عوض، محسن، ٢٠١٢، ص ٢٥)

وترى الدراسة أن تنامي ظاهرة العولمة وتداعياتها في السنوات الأخيرة سوف يلقى بظلاله على الدول العربية؛ حيث أدى إلى تفاقم حدة هذه المشكلة؛ إذ تسيطر الدول الصناعية المتقدمة والطبقات الرأسمالية في البلدان العربية على مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية، وهو ما يؤدي إلى انقسام المجتمعات العربية إلى طبقتين منعزلتين كلتاهما عن الأخرى، إحداهما مسيطرة تدير الدولة واقتصادها والأخرى ضعيفة مغلوبة على أمرها، وهو ما سيؤدي إلى توسيع دائرة الفقر وإحساس المواطن الفقير بالاستبعاد والعجز والقهر، كما يؤدي إلى الاستبعاد الاجتماعي للأغنياء أيضاً؛ حيث الشعور بالرغبة في البعد والانزلال عن تلك الطبقات الدنيا في المجتمع، ويصبح المواطن في كلتا الحالتين غير مرتبط بموطنه وفاقد للإحساس بالانتماء والمعنى ومن ثم الشعور بالاستلاب.

#### ب- مشكلات الشباب

يواجه الشباب في العالم العربي العديد من المشكلات التي تعزز فكرة الاستبعاد الاجتماعي لديه وهو ما ستعرضه الدراسة فيما يلي.

يعد الطابع الشبابي للتركيبة السكانية في العالم العربي من أهم الخصائص السكانية، وذلك بسبب التحولات الديموجرافية في العقود السابقة، وقد أدى ارتفاع نسبة الشباب في الفئة العمرية من ١٥-٢٤ عاماً إلى ما يعرف اليوم بـ "بوم الشباب"؛ حيث تضاعف العدد الإجمالي للشباب في المنطقة وبلغ حوالي ٥٠% من إجمالي السكان، لتمثل المنطقة المرتبة الثانية في أعلى معدل للشباب بين مناطق العالم بعد أفريقيا جنوب الصحراء. (عوض، محسن، ٢٠١٢، ص ٢٦)

ويشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠١٦ إلى أن الشباب في العالم العربي يواجه كثيراً من التحديات المرتبطة بالصحة والرعاية والمرافق الصحية السيئة المستوى، كما أن كثيراً منهم معرض لسلوكيات عدة مليئة بالمخاطر ذات التأثير على الصحة بشكل كبير مثل التدخين وتعاطي المخدرات والقيادة المتهورة والتي ترفع معدلات الوفاة والمرض، كما يزداد تعرض الشباب العربي للتأذى من المشاكل الصحية والعقلية والجنسية، وهم أكثر عرضة لخطر الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، وحوالي ٦٦% من هذه الحالات في مصر.

كما يشير ذات التقرير إلى أن مشاركة الشباب في العمليات السياسية في البلدان العربية تعد من بين أدنى المعدلات في العالم؛ على الرغم من قلة المعوقات القانونية أمام هذه المشاركة؛ فسن الاقتراع هو ١٨ عاماً في معظم البلدان العربية ومتوسط سن التأهل لعضوية المجالس النيابية أو التشريعية ٢٦ عاماً ومع ذلك فإن المشاركة السياسية محدودة، ويدعو هذا الأمر إلى التشكيك في تمثيلهم في الحياة السياسية كما يعكس حرمانهم بقدر كبير من المشاركة فيها، وهذه الاتجاهات تؤدي بالتالي إلى إقصاء الشباب عن العديد من التجارب، لأنهم يواجهون صعوبات مالية في الزواج، وإيجاد سكن مستقل وتكوين أسرة. ومع انعدام الثقة في العملية السياسية في المنطقة يصوت الشباب بنسب

أقل من المفترض أن تكون عليه ولعل ذلك كان أحد الأسباب الرئيسية في دفع عدم الاستقرار والاضطرابات الإقليمية في السنوات الأخيرة.

أما بالنسبة للبطالة وهي من المشكلات المهمة للشباب في العالم العربي، فتشير الإحصاءات إلى زيادة نسبة البطالة في العالم العربي؛ حيث وصلت ٢٩.٥%، مقابل ١٣% عالمياً. ولذلك فإن المنطقة العربية تحتاج إلى إيجاد فرص عمل لأكثر من ٩٠ مليون وظيفة جديدة من أجل تلبية احتياجات الأعداد المتلحقة بالقوة العاملة. (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠١٦، ص ٢٧)

ولما كان الشباب من أكثر الفئات الاجتماعية انفتاحاً على الثقافات الأخرى وتطلعاً إلى التغيير، فقد ترتب على ذلك ظهور فجوات بينهم وبين مجتمعاتهم أدت أحياناً إلى إقصائهم منها. وتلعب العوامل الثقافية دوراً مهماً في ذلك، وي طرح تعدد المرجعيات الثقافية للشباب العربي تساؤلات حول العوامل المكونة لهوية الشباب في سن ترسخ فيه عملية بناء الهوية ويتشكل الانتماء، وتعتبر الانتماءات الثقافية المتعددة للشباب كذلك عن انشغالهم ومخاوفهم في زمن الاقتصاد الواحد والمعلوم، والتحديات التي يفرضها النظام الاقتصادي الجديد ولاسيما الإقصاء والبطالة. (عوض، محسن، ٢٠١٢، ص ٢٥)

وتعد البطالة في العالم العربي من المشكلات ذات العلاقة بالاستلاب؛ إذ إن الإنسان الذي لا يعمل يشعر بعدم القدرة على الاندماج في مجتمعه، وبالتهميش والإهمال، والإقصاء من الحياة العامة والعجز عن المشاركة في صنع أي قرار يتعلق به، من هنا ينفر من المجتمع ويشعر بعدم ولائه له، ويستبعد مجبراً في بعض الأحيان وطواعية في أحيان أخرى عن مجتمعه من ثم يؤدي به ذلك إلى الهجرة التي تعتبر بالنسبة له الملاذ الأخير.

وهو ما حدث بالفعل في عديد من الدول العربية؛ حيث يشير تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠١٦ إلى أن العقد الأول من القرن الحادي والعشرين شهد أعلى معدلات للهجرة في البلدان العربية وخاصة من ذوى المهارات؛ ففي تونس على سبيل المثال ارتفعت نسبة الشباب الراغبين في الهجرة من أعمار ١٥-٢٩ عاماً من ٢٢% عام ١٩٩٥ إلى ٧٦% عام ٢٠٠٥، وفي لبنان أبدى ثلث الشباب رغبتهم في مغادرة البلاد عام ٢٠٠٨، وفي عام ٢٠٠٥ كان ٦٢% من المهاجرين الأردنيين من خريجي الجامعات.

(تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠١٦، ص ١٣١)

### ج- الاستبعاد الاجتماعي للمرأة

على الرغم مما قطعته المرأة العربية من جهود في سبيل إثبات ذاتها؛ فإنها مع ذلك لا تزال تعاني بعض مظاهر التمييز. فالقضاء الجذري على جميع مظاهر التمييز ضد المرأة العربية قد يحتاج إلى المزيد من الأعمار. وتلعب الثقافة العربية بما تحمله من عادات وتقاليده وأعراف دوراً كبيراً في ترسيخ هذا التمييز؛ فهي ترسخ فكرة أن المرأة مكانها المناسب هو البيت والمنزل والأسرة ورعاية الأبناء، ومع الإيمان بأهمية هذا الدور الذي لا يغفله أحد فإن الباحثة مع ذلك ترى أن المرأة استطاعت أن تثبت ذاتها في العديد من المواقع والمناصب. وإلى جانب هذه الثقافة توجد بعض العوامل الأخرى التي تساند هذه الفكرة "التمييز".



ويشير تقرير التنمية الإنسانية العربية عام ٢٠١٦ إلى أن هناك بعض العقبات القانونية التي تحد من استخدام المرأة العربية لقدراتها بشكل كامل. وعلى الرغم من أن أغلب البلدان العربية تنص فيها الدساتير على المساواة بين المواطنين من حيث العرق والدين والإثنية والنوع الاجتماعي، لكن القليل منها يحظر التمييز بشكل مباشر. كما أن حقوق الرجال والنساء في العالم العربي في القوانين وقواعد الأحوال الشخصية ليست حقوقاً متساوية في الزواج والطلاق؛ حيث تتعرض المرأة لأشكال من التمييز المقتن والتبعية الاجتماعية والهيمنة الذكورية، كما تتعرض لأشكال من العنف الأسرى والمؤسساتي. فهناك دول عربية تخفف من عقوبات الاعتداء على المرأة وحتى المميته منها إذا كان ممكناً إثبات أن الجاني ارتكب جريمة شرف، كما أن قانون العقوبات يميز ضد النساء في حالات الزنا. وبحسب معظم التقييمات فإن المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة في بلدان عربية أكثر تقبيداً مما هو عليه في مناطق أخرى؛ حيث سجلت المنطقة أكبر فجوة في العالم وفقاً لمؤشر الفجوة العالمي بين الجنسين عام ٢٠١٢، الذي يأخذ في الاعتبار التمكين السياسي والمشاركة الاقتصادية والفرص المتاحة. كما أن مشاركة المرأة في قوة العمل أقل بقليل من ٢٤% وأقل من ١٨.٥% بين الفتيات، وهو الأدنى بين جميع مناطق العالم، كما يذكر التقرير أن حصة الإناث من إجمالي الناتج المحلي في المنطقة العربية حوالي ٢٩% فقط، مقابل ٥٠% في جميع البلدان النامية، كما أن معدل الفقر يبلغ ٣١.٦١% بين النساء، في مقابل ١٩% بين الرجال، كما أن نسبة النساء في مجالس النواب والأعيان للبلدان العربية هي الأدنى في العالم؛ حيث تصل إلى ١٦% فقط، هذا بالإضافة إلى بعض المشكلات الأخرى التي تواجهها في مجال الوظائف والخدمات الصحية. ويتفاوت ذلك بالطبع من دولة لأخرى؛ فيشير التقرير إلى أن بعض البلدان الفقيرة في المنطقة لا يشرف فيها عاملون صحيون مهرة إلا على ٣٤% فقط في الولادات، مقابل ٨٣% في المغرب العربي، و٩٩% في بلدان مجلس التعاون الخليجي. وداخل البلدان تعيش أفقر النساء في ظرف سيئة إلى حد كبير؛ فحوالي (٥٥% و ٢٧%، و ١٧%) فقط من الولادات لدى أشد الأسر فقراً في مصر والسودان واليمن على التوالي تجرى بإشراف عاملين مهرة، مقابل (٩٧%، و ٨٨%، و ٧٤%) لدى الأسر الغنية في نفس الدول. كما أن الحمل المبكر المقاس بمعدلات الولادة بين من هن في سن ١٥-١٩ عاماً لا يزال مرتفعاً في أقل البلدان نمواً وبلدان المشرق العربي، وتؤدي كل هذه المشاكل إلى ظروف أمومية عكسية هي السبب الرئيس لوفيات صغيرات السن، والسبب الرئيس الثالث بين النساء لسنوات تضيق من جراء الإعاقة. (تقرير التنمية الإنسانية العربية، ٢٠١٦، ص ٢٦)

وقد حاولت إحدى الدراسات الوقوف على بعض المعوقات التي تحول دون مشاركة المرأة العربية في الحياة العامة في المجتمعات العربية والتي منها:

**المعوقات الاجتماعية والثقافية:** مثل تهميش دور النساء وتعزيز العقلية الذكورية، وكذلك الثقافة العربية التقليدية المحافظة التي تقوم على منظومة قيم وعادات وتقاليد ترسم صورة نمطية للمرأة، وتحدد ما هو مناسب وغير مناسب لأدوار الرجال والنساء والنظرة سلبية نحو عمل المرأة في السياسة.

**المعوقات السياسية:** مثل غياب الآليات والبرامج الواضحة للمشاركة السياسية والمخاوف من العنف والذي يعتبر أحد معوقات المشاركة السياسية للمرأة؛ حيث تظهر البلطجة في المواسم الانتخابية كأحد أهم العقبات التي تدفع النساء إلى تجنب المشاركة في الحياة سواء كانت ناخبة أم مرشحة.

**معوقات خاصة بالمرأة نفسها** مثل ارتفاع نسبة الأمية لدى النساء وضعف وعى النساء بحقوقهن السياسية وعدم اقتناع البعض منهن بدورها وقدرتها على المشاركة السياسية بفاعلية، وعدم إيمان المرأة بقدراتها على المساهمة الفعالة في توجيه الحياة العامة، هذا بالإضافة إلى عدم قدرة المرأة على مواجهة المتطلبات المالية لخوض الانتخابات وضعف مشاركة المرأة في السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية.

**معوقات اقتصادية:** متمثلة في عدم المساواة في الدخل بين الرجل والمرأة والذي يعتبر معوقاً لتمكينها وتدنى مشاركتها في النشاط الاقتصادي، فالواقع الفعلي يؤكد في كثير من الحالات عدم حرية المرأة في التصرف بأموالها وخضوعها للضغوط الممارسة عليها من الأهل والزوج. كما أن طاقة وقدرات المرأة العربية لا تزال بعيدة عن الاستثمار الحقيقي لها، فما يزال الخلل موجوداً فيما يخص المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية؛ حيث إن معدل النشاط الاقتصادي لها لم يتجاوز ٢٦%، وهي نسبة تقل عن المعدل العالمي (٥٢.٥%). كما أن نسبة النشاط الاقتصادي للمرأة في العالم العربي قد انخفضت بشكل ملحوظ في بداية الألفية من ٣٣.٣% عام ٢٠٠٣ إلى ٢٦.٧% عام ٢٠٠٥. (الأحمد، وسيم حسام الدين، ٢٠١٦، ص ٢٩١-٢٩٦)

ومن مظاهر التمييز في العالم العربي ضد المرأة أيضاً حرمان المرأة المتزوجة من أجنبي من منح جنسيتها لأبنائها في بعض البلدان. وعجز النظام التشريعي القائم عن كفالة الحماية للنساء في مجال العنف في الوسط العائلي أو العنف الصادر عن الدولة أو المجتمع. ويبلغ العنف ضد النساء ذروته في مناطق تراكم الأزمات بالاحتلالات والنزاعات المسلحة خاصة في فلسطين والعراق والسودان والصومال. ولا تكمن مصادر التمييز ضد المرأة في السياسات الحكومية فحسب، بل تنكسر بقدر مماثل من جانب المجتمع.

(عوض، محسن، ٢٠١٢، ص ٢٦)

ويسهم ذلك الانخفاض في مستوى مشاركة المرأة في المجالات السياسية والاقتصادية بشكل كبير في تكريس الانحياز للنوع وترويج المفاهيم النمطية الخاطئة والمتعلقة بالمكان المناسب للمرأة، ومن ثم تهميش دورها في الحياة العامة عموماً.

#### د- التمييز على أساس العرق والجنس

تعانى بعض الفئات من النبذ والتهميش والإقصاء في عديد من الدول العربية والتي تعد صوراً متنوعة للاستبعاد الاجتماعي وستعرض الدراسة فيما يلي لبعض منها في عدد من البلدان.

#### الحراطين في موريتانيا

تطلق كلمة الحراطين على عرب موريتانيا السمر وهم يمثلون شريحة اجتماعية كبيرة، ظهرت بشكل واضح خلال القرنين الماضيين وأصبحت تشكل فئة كبيرة العدد في موريتانيا ومالي والسنغال وهم من الفئات المهمشة فيها. وتبلغ نسبتها في موريتانيا حوالي ٤٨% من عدد السكان. وينقسمون إلى

فنتين إحداهما خضعت للرق قديما، ولا تزال تعاني منه حتى الآن، والأخرى لم تخضع له وظلت معروفة بنشاطاتها التقليدية في الزراعة والأعمال الحرفية.

وحتى الآن لم تحدث التغيرات المجتمعية في العالم العربي تحسنا في أوضاع الحراطين والخروج من مرتبة مواطني الدرجة الثانية، لعوامل منها عجز المشروعات التنموية في موريتانيا عن تلبية أبسط مطالب الحياة الكريمة للمجتمع ككل من ناحية، ولهذه الفئة خصوصا من ناحية أخرى، وذلك على الرغم من محاولة معالجة هذا الملف في كثير من وسائل الإعلام وفي السياسات الحكومية المتعاقبة بشكل يهدف إلى محاربة العبودية والقضاء على مخلفاتها وإنقاذ هذه الفئة من واقع المعاناة والتهميش الذي يعيشونه، كما سنت القوانين والتشريعات لهذا الغرض بدءاً بدستور الاستقلال عام ١٩٦٠، والتي حدث بشكل كبير من العبودية التقليدية، بحيث لم تبق إلا بعض الجيوب المعزولة والمتستر عليها بزريعة واقعهم الاقتصادي أو حالتهم النفسية والاجتماعية، أما حزم المشاريع الإنمائية التي وضعتها السلطات للتخفيف من فقر هذه الشريحة وترقيتها فقد كان مألها الفشل بسبب افتقار هذه المشاريع العلمية، كما لا تزال ملفات النزاعات بين "العبيد السابقين وأسيادهم" والمتعلقة بالنزاعات العقارية (نقاط المياه، والأراضي الصالحة للزراعة، والمناطق الرعوية ... إلخ) من دون معالجة فعلية، وتسببت خلال السنوات الأخيرة في احتقان شديد ثم تطورت إلى مواجهات مسلحة في بعض الأحيان. (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ٢٠٠٩، ص٨)

#### اليمن

يوجد في اليمن أنواع عديدة من التمييز الاجتماعي ضد فئات مهمشة من الأخدام وأبناء الخمس والعبيد، والأخدام هم ذوو البشرة السوداء الذين يعتقد أنهم بقايا الأحباش في اليمن وعددهم حوالي ١٥٣.٠٠٠ فرد، ويقوم أغلبهم في المناطق الوسطى والجنوبية بالإضافة إلى أعداد صغيرة منتشرة حول مراكز المدن. وعلى الرغم من عدم وجود تمييز قانوني ورسومي ضد الأخدام فإن الدولة لا تتخذ أى إجراء لمنعه، كما لا تمنحهم أي أولوية في خططها وبرامجها التنموية، أما أبناء الخمس فيقطنون المناطق القبلية وينحدرون من سلالات عرقية مختلفة ولا تجيز العادات الاجتماعية الارتباط معهم بعلاقات مصاهرة وهم من الناحية الفعلية أتباع لشيخ القبيلة وتحت حمايتهم، الأمر الذى يعرضهم للابتزاز في كثير من الأحوال إضافة إلى ذلك يوجد عدد من العبيد والجوارى حوالي (٥٠٠-٨٠٠) شخص يملكهم مشايخ في بعض مناطق تهامة ومحافظة حجة، ويعيش هؤلاء حياة العبودية الكاملة؛ فالنسب إلى أمهاتهم كما أنهم يورثون ولا يحصلون على بطاقات هوية شخصية أو جوازات سفر أو بطاقات ضمان اجتماعي. لذا صنف اليمن عام ٢٠١٠ في المركز ١٢١ من بين ١٤٠ بلد فيما يتعلق بالمساواة في النوع الاجتماعي. كما تعاني النساء صورا عديدة من التمييز يعود إلى الثقافة الاجتماعية وبعض التشريعات القانونية، فقانون العقوبات مثلا يعتبر دية المرأة نصف دية الرجل وهو أمر ينطوى على هدر لأدمية المرأة لا حقوقها فحسب. كما يزداد التمييز ضد المرأة في الريف؛ حيث تحرم أغلب الفتيات من التعليم، وترتفع مستويات العنف الاجتماعي ضد المرأة. وتشير منظمة الأحرار السود وهي منظمة يمنية غير حكومية تدافع عن حقوق أبناء هذه الفئة المضطهدة، إلى أن ٩٩ % من عمال النظافة والصرف الصحي في اليمن هم من فئة الأخدام، و ٩٥ % منهم يعملون بأجر يومي وبدون عقود رسمية تكفل لهم حقوقهم، كما أن العمال الأخدام محرومون

من حقوقهم القانونية والطبيعية في الحصول على الإجازات الأسبوعية والسنوية والموسمية. وبحقوق هذه الفئة ليست على المستوى الاقتصادي والاجتماعي فقط بل على المستوى السياسي والمدني أيضا؛ إذ لا تتم معاملتهم بمبدأ المساواة أمام القانون. كما لا يعاملون معاملة المواطن اليمني، فلا حق لهم في خدمة الجيش الوطني، ولا تأمينات اجتماعية أو صحية تضمن لهم أدنى مستويات الكرامة الحياتية؛ كما لا يحق لهم امتلاك العقارات، بل هم محرومون من أبسط حقوقهم المدنية وهي بطاقة الهوية؛ وبالتالي لا يتاح لهم إدخال أبنائهم للمدارس، لذلك تتفشى الأمية بنسبة كبيرة في هذه الأوساط وينتشر أبنائها في الشوارع بحثا عن لقمة العيش. ويعيش الأخدام في مناطق عشوائية معرضة للسيول وبيئة تحمل الأمراض والتلوث ولا تتوفر فيها الخدمات الرئيسية كشبكات المياه أو الصرف الصحي، كما أن مساكنهم غير صحية وضيقة وتتسرب إليها مياه الأمطار وبعضها ليس فيه دورات مياه ويعيش بعضهم مع الأغنام والمواشي في نفس المنزل وتحيط بهم أكياس القمامة من كل جانب والمستنقعات الراكدة، كما لا يوجد في غالبيتها خدمات الكهرباء المنتظمة.

(المركز العربي للأبحاث والدراسات، ٢٠١٤، ص٤)

#### البدون

وهي كلمة تطلق على مئات الآلاف من الأفراد الذين يقيمون في بلدان الخليج وقد تفاقمت هذه الظاهرة بعد تحقيق هذه البلدان الكثير من الازدهار الاقتصادي، وقدرتها على توفير أوجه الرفاه الاجتماعي لمواطنيها؛ حيث أصبح حمل جنسيتها وصفة مواظنتها تعنى العديد من المزايا الاقتصادية والاجتماعية في توزيع الأراضي، والإقراض من البنوك، وخدمات الصحة والتعليم وغيرها من الخدمات الاجتماعية. كما زاد من حدتها أحيانا انغماس أطراف من فئة البدون في اتخاذ إجراءات معادية للدولة مثل تأييد فئة من بدون الكويت أثناء الاحتلال العراقي للكويت عام ١٩٩٠، فاتخذت دولة الكويت إجراءات عقابية متشددة ضد كل البدون. (المنظمة العربية لحقوق الإنسان، ٢٠١٩، ص١)

وفي الكويت يشكل البدون ١٠% من عدد السكان، وهم منحدرين من جنسيات مختلفة السعودية، والعراقية، والسورية، والإيرانية، والأردنية، وقد نشأت بعد اكتشاف النفط وبداية تصديره عام ١٩٦٤؛ حيث تزايدت الهجرة للكويت من البلاد المجاورة بحثا عن الرزق والاستقرار، مستغلين انعدام الضوابط للدخول للكويت والاستثناء الممنوح لأفراد العشائر من قانون الإقامة المطبق في أواخر الخمسينيات، فأخفى العديد منهم هوياتهم مدعين انتماءهم إلى فئة عديمي الجنسية، وذلك طمعا في الجنسية الكويتية وامتيازاتها، فتزايدت هذه الفئة بشكل كبير وخلال فترة قصيرة. وقبل عام ١٩٦٥ كان وضع البدون في الكويت وضعاً جيداً؛ حيث كان تتم معاملتهم في الكثير من الحالات كمواطنين عاديين ويتم تفضيلهم على المقيمين من جنسيات أخرى إلى درجة منح الجنسية لأى طالب من البدون يكمل تعليمه الثانوي، وقد استفاد من ذلك عدد من البدون وساهموا كمواطنين فيما بعد مساهمة فعالة في كافة أنشطة المجتمع الكويتي. إلا أن ذلك الإجراء تم إيقافه بعد فترة وجيزة. وقد حرم هؤلاء من العلاج الطبيعي ومن توثيق عقود الزواج وحتى استخراج شهادة الميلاد والتعليم والصحة وغيرها. (عوض، محسن، ٢٠١٢، ص٨)

ومن خلال ما سبق عرضه من مظاهر عدة للتمييز في العالم العربي يمكن القول إن الشعور بالاستبعاد والتهميش أياً كانت صورته يجعل انتماء الأفراد شبه معدوم، وذلك لعدم قدرتهم على الاندماج في المجتمع وعلى أن يكون عضواً فاعلاً فيه، وبالتالي يشعر بالعزلة والاعتزاب ومن ثم العجز والتخلي وضعف الإرادة والفعل وكلها تؤدي في نهاية المطاف إلى شعوره بالاستلاب.

#### هـ - التعليم

سبق وأن ذكرت الدراسة أن الاستبعاد الاجتماعي يشمل فئتين الأولى: وهم المستبعدون قسراً ورغم أنهم والثانية: المستبعدون طواعية. والتعليم العربي عموماً يتجلى فيه هاتان الفئتان، فهناك فئات في التعليم مستبعدة قسراً، وهناك أيضاً من أبعدت نفسها طواعية، وهو ما ستعرضه الدراسة فيما يلي.

أما عن الفئة الأولى: فترى الدراسة أنها هي التي استبعدت قسراً بفعل عوامل عدة مثل الفقر، والنظرة المجتمعية المتدنية لهذا النوع من التعليم.

أما الفئة الثانية: التي استبعدت نفسها طواعية، فتقصد بها الدراسة التعليم الذي يتم في المدارس والجامعات الأجنبية باهظة التكاليف والتي لا يستطيع الالتحاق بها أبناء الفقراء أو حتى أبناء الطبقة الوسطى.

وكلا النوعان له تأثيره على تعميق الشعور بالاستلاب لدى الإنسان العربي. وستعرض الدراسة فيما يلي لما سبق بالتفصيل.

#### الفئات المستبعدة من التعليم قسراً بسبب الفقر:

يشير تقرير منظمة العمل الدولية إلى أن حوالي (٢٥٠) مليون طفل عامل في العالم تتراوح أعمارهم بين ١٥-١٤ عاماً وأغلبهم يعملون في الزراعة، ويتواجد في آسيا نسبة (٦١%)، منهم. وطبقاً للتقرير فإن عمالة الأطفال تصل إلى نحو ثلث قوة العمل الزراعية بنسبة (٦١%) في بعض الدول النامية، وتشير الإحصاءات إلى أن نصيب الدول العربية من عمالة الأطفال هو (١٠) ملايين طفل، وتبلغ نسبة العراق من ذلك العدد ١٠.٣٣%، وفي سوريا ٥.٢% وفي اليمن ٢٣.٣%، وفي مصر ٢٦%. وتتراوح أسباب خروج الأطفال للعمل ما بين اقتصادية واجتماعية لعدم الاهتمام بالتعليم وإحساس العائلة بالملكية لأطفالها وحققها في استثمار هذه الملكية وكذلك بسبب الهجرة المكثفة من الريف إلى المدينة. (تقرير منظمة العمل الدولية، ٢٠١٩)

ويدفع الفقر الأطفال للبحث عن الأعمال الهابطة بسبب ارتفاع مصاريف التعليم عموماً وحتى المجاني منه بسبب غلاء المستلزمات المدرسية وعدم اتباع أسلوب التغذية المدرسية المجانية؛ فيضطر الطالب إلى شراء طعامه من الإدارة المدرسية والمدرسين عاملي النظافة. (عبد الغفار، عادل، ٢٠١٥، ص ٤)

ويؤثر الفقر على التحاق الطلاب بالمدارس وعلى تسربهم منها بعد ذلك، وذلك على الرغم من جهود الدول العربية لتطوير النظم التعليمية بها لاستيعاب هذه الفئة وملاحقة النمو الكمي لأعداد الطلاب، فمازالت الأمية والتسرب المدرسي ينتشران بشكل كبير، وما زالت مؤسساتها التعليمية

عاجزة عن توفير فرص تعليمية للأجيال الجديدة من الشباب فضلاً عن ضعف موازنة مخرجات التعليم خاصة العالي مع متطلبات أسواق العمل المحلية والإقليمية وهو ما يؤدي إلى إقصاء الكثيرين.

وتشير إحدى الدراسات إلى أن عدد الشباب الذين يعانون من الأمية في البلدان العربية عام ٢٠٠٩ أكثر من ٦ مليون شاب أي نحو ١٢ % من إجمالي الشباب، وتمثل الفتيات أكثر من ٦٢ % . (عوض، محسن، ٢٠١٢، ص ٩)

وهي نسبة تعكس الفرق في فرص التعليم بين الذكور والإناث نتيجة لبعض العوامل المؤسسية والاجتماعية والذاتية السابق الإشارة إليها. ويلاحظ وجود تفاوت واضح في نسب الأمية بين البلدان العربية وبين مستويات الأمية بين الجنسين. وينعكس ذلك بالطبع على التعليم الجامعي ومن ثم إمكانية إيجاد الشباب لفرص عمل، ومن ثم البطالة المشار إليها.

#### الفئات المستبعدة من التعليم قسراً بسبب نوعية التعليم

يشكل التعليم الثانوي الفني أو المهني حسب مسمياته في الدول العربية أحد أنواع التعليم الذي يشعر دارسيه بالاستبعاد الاجتماعي؛ نظراً لما يحظى به من مكانة واهتمام من قبل أفراد المجتمع، فالأغلب الأعم أن نظرة المجتمع والأفراد لهذا النوع من التعليم نظرة دونية. فقد أشار أحد التقارير إلى أن النظرة للتعليم الفني في الدول العربية من الناحية الاجتماعية لا تزال دونية من قبل المجتمع إلى تلك التخصصات رغم العائد المادي المرتفع الذي يمكن أن يرافق العمل المهني. وفي كثير من تلك التخصصات لا تزال ظروف العمل السائدة في كثير من القطاعات المهنية تفتقر إلى شروط العمل اللائق، ويعتبر كثير من تلك القطاعات غير منظم ولا يوجد أي شكل من أشكال الحماية الاجتماعية للعاملين. (مركز كارنيجي للشرق الأوسط، ٢٠١٩، ص ١)

وهذا ما أكدته بعض الدراسات في بعض البلدان العربية؛ ففي مصر أشارت إحدى الدراسات إلى أن اتجاهات الآباء نحو هذا النوع من التعليم هو اتجاه الرفض لإلحاق أبنائهم به، وأن غالبية خريجه يشعر بعدم احترام المجتمع لهم. (عبد المطلب، جمال محمد، ١٩٩٦، ص ٧)

وقد اتفقت الدراسة السابقة مع دراسة عبد العال التي أوضحت أن خريجي التعليم الثانوي الصناعي في مصر يشعرون بالاستبعاد الاجتماعي وهو ما يؤدي إلى عزوفهم عن المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية ويؤثر سلباً على خطط التنمية البشرية، ويترتب على ذلك آثار ومخاطر عديدة منها إمكانية استقطابهم من بعض الجماعات المتطرفة أو اندماجهم في هويات مختلفة ومتناقضة مع هوية المجتمع وثقافته، أو وقوعهم فريسة لبعض الممارسات الخاطئة مثل تعاطي المخدرات، هذا بالإضافة إلى صعوبة التواصل بين الشباب وكل ذلك يؤدي إلى شعوره بأنه مهمش وغريب عن مجتمعه.

(عبد العال، محمد سيد ضاحي، ٢٠١٢، ص ١٢)

وفي الأردن توصلت إحدى الدراسات إلى نفس النتيجة؛ حيث أشارت إلى أن التعليم المهني يشهد عزوفاً من الطلاب من أسبابه النظرة المتدنية لهذا النوع من التعليم، حيث ينظر البعض للطلاب الذي يلتحق بهذا النوع من المدارس على أنه فاشل، وأنه تعليم لا يحتاج إلى أي نوع من الذكاء. (الحسينات، عمر جاسر، ٢٠١٦، ص ٣٤٨)

وفي سوريا أوضحت إحدى الدراسات -التي تناولت التعليم المهني- أن نظرة المجتمع لهذا النوع من التعليم نظرة متدنية؛ إذ تمثل الخيار الأوحده للطلاب الذين يعانون من القدرة على التحصيل المتدني. (حلبى، شادى، ٢٠١٢، ص ٤١٢)

### المستبعدون طواعية من المجتمع

سبق وأن ذكرت الدراسة أن الاستبعاد يمكن أن يكون طواعية حيث يبتعد البعض باختياره، وفي التعليم قد يحدث هذا الابتعاد أو الاستبعاد الطوعي، ويتمثل ذلك في العزوف عن الالتحاق بالتعليم الرسمي الحكومي، وبالفعل شهدت السنوات السابقة عزوفاً من الطبقات القادرة عن الالتحاق بالتعليم الرسمي في مقابل الإقبال على التعليم الخاص في كافة المؤسسات التعليمية مدارس وجامعات، والتي أصبحت تكلفتها عالية جداً لا يقوى عليها الكثيرون من أبناء الطبقة الفقيرة أو حتى المتوسطة التي في طريقها للانقراض.

وقد ساعد على ذلك العديد من العوامل منها اتجاه كثير من البلدان نحو التخصصة بالإضافة إلى تردى أوضاع التعليم الحكومي، من هنا زاد الإقبال على التعليم الخاص ومنه الأجنبي وهو ما أدى إلى زيادة الهوة بين الأغنياء والفقراء وعمق الفوارق والفجوات الاجتماعية بين مختلف الشرائح. ويرى المهدي أن ذلك ترتب عليه تعدد نظم التعليم مما أدى إلى حالة من التفسخ الاجتماعي لتزيد من مخاطره وكذلك تمييز دور التعليم في تأسيس ثقافة وطنية قومية إنسانية مشتركة تمكن المواطنين من الحوار والتواصل والتوافق الديمقراطي، كما أدت إلى تغلغل ثنائيات ثقافية ترسخت في كيان ثقافتنا من التناقضات بين الأصالة والمعاصرة، والاجترار والإبداع، والديني والعلمي، والاستبدادي والحواري، والمحلي والعالمى، والنسبي والمطلق، وانطلقت مظاهر اللاتجانس الثقافي متزاخمة مضطربة بين ما تموج به ثقافتنا من ثنائيات. (المهدي، مجدى صلاح طه، ٢٠٠٩، ص ٢٠٨)

ويرى بدران أن الوضع الطبقي للطلاب في الوطن العربي بشكل عام يكاد يكون المحدد الأساسي لمستوى ومضمون تعليمه؛ فالتعليم منهجا وإدارة ونظاما وقبولاً وسياسة يتحيز بدرجة كبيرة لصالح الأغنياء وضد الفقراء (شبل بدران، ١٩٩٣، ص ٢٢)

من هنا يجد أبناء الطبقات القادرة ينسحبون من التعليم الرسمي الحكومي، وتكون لهم مدارسهم وجامعاتهم ولغتهم ونمط حياتهم المختلفة تماماً عن حياة البسطاء، ومن هنا يعيش النوعان في اغتراب عن مجتمعاتهم إما بإرادتهم كما في حالة الفقراء أو باختيارهم كما في حالة الطبقات الغنية.

**ثالثا: انعكاس الاستلاب الفكري والثقافي على التربية في العالم العربي**

ستعرض الباحثة في هذا الجزء من الدراسة لانعكاسات الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي وذلك من خلال المحورين التاليين:

١-التحديات التي تواجه التربية العربية وانعكاساتها على عناصر العملية التربوية.

٢-مظاهر الاختراق الثقافي والفكري للتربية في العالم العربي.

١-التحديات التي تواجه التربية العربية وانعكاساتها على عناصر العملية التربوية:

تري الدراسة أن التحديات التي تواجه التربية العربية ذات العلاقة بالاستلاب الفكري والثقافي يمكن أن تتمثل فيما:

➤تطور مفهوم التربية وأهدافها: أدت التغيرات العالمية المعاصرة وفي مقدمتها العولمة إلى

بروز بعض التحديات التي واجهت التربية عموما والتربية في العالم العربي

خصوصا، وتشير إحدى الدراسات إلى أن من أهم هذه التحديات تطور مفهوم التربية

وأهدافها؛ فالتربية لها غايتان أساسيتان الأولى وهي غايات صريحة واضحة وتظهر في

الداستير والخطب الرسمية والقوانين ومخططات التنمية والتربية وكافة البرامج السياسية،

والنوع الثاني غايات مستترة يمكن الاستدلال عليها من خلال ملاحظة الواقع. والغايات

المستترة هي المحرك الرئيس لكل الغايات ويطلق عليها النوايا الحقيقية التي يريد المجتمع

تحقيقها فعليا على أرض الواقع. وترى الدراسة أن الفلسفات في المجتمعات الغربية لا تريد

إنسانا لمهنة أو وظيفة وإنما تريد إنسانا يغير العالم بعد أن يغير ذاته، وأبالأحرى يهيمن

على العالم ويصنع الحركة التاريخية. (زروخي، الدراجي، ٢٠١٧، ص٨٤٩)

وترى الدراسة الحالية أن الغايات التربوية ترتبط بالنظام السياسي في المجتمع وبقراراته التي

تحدد سمات المواطن المرغوب فيه من وجهة نظرها. هذه السمات نسبية تختلف من مجتمع لآخر

وفقا لطبيعة المجتمع وأماله وطموحاته .

➤التربية وجدلية الأنا والآخر: كما سبق الإشارة آنفا أن العولمة كأحد أهم المتغيرات العالمية

كان لها مؤيدوها ومعارضوها، ولعل أهم ما وجه للعولمة من انتقادات هو ما يتعلق بالقضاء

على الخصوصية الثقافية. وحيث إن الأقوي دائما هو الأقدر على فرض هويته

وثقافته، سيكون الإنسان العربي بالتالي هو الذي ستعرض هويته الثقافية للذوبان في ثقافة

الآخرين، ولعل ذلك ما أثار إشكالية كبرى في التربية وهي:عولمة التربية أم تربية

العولمة؟ وهل على التربية أن تستجيب للعولمة أم أن عليها أن تكون هي الأداة التي يحافظ

المجتمع من خلالها على ثقافته وهويته؟ ومن هنا طُرحت جدلية الأنا والآخر، التي حاول

فيها العربي أن يبحث عن هويته الثقافية، وبالتالي ظهرت قضية الأصالة والمعاصرة، وما

الأجدى: هل العيش في الماضي أم الانصياع للتجديد؟ وقد انعكس ذلك على التربية؛ حيث



الاقتنان بالغرب وقوته ، والاستعارة دون وعي في كثير من الأحيان من أنظمتها ووقف البعض موقفا وسطا . ويرى عبد الغني أن العلاقة بين التربية العربية والغربية يجب أن تكون قائمة على التكامل والحوار والتواصل الفكري، فإذا كان من السهل إذابة الحدود والفوارق بين المجتمعات من الناحية الاقتصادية والتجارية، فقد يكون من الصعب إحداث ذلك ثقافيا من خلال فرض نمط ثقافي موحد على الجميع؛ لأن ذلك يحكم على الثقافات الضعيفة بالتلاشي والفناء. (عبد الغني، مصطفى، ٢٠٠٠، ص ١)

➤ أهداف فلسفة التربية: تسعى فلسفة التربية إلى تحقيق عدد من الغايات وتتجلى هذه الغايات في الإجابة عن سؤاين أساسيين هما: لماذا نعلم ونتعلم؟ وما الموصفات التي نسعي إلى تحقيقها في الإنسان؟

والإجابة عن هذه السؤاين هي التي تحدد نمط العلاقة مع الآخر، هذه العلاقة التي يجب أن تحدد كما ذهب إلى ذلك نبيل علي من خلال رؤية المجتمع بكافة مؤسساته ، و هي الرؤية التي إما أن تقود هذا المجتمع إلى الحاضر أو تعود به إلى الماضي. (علي، نبيل، ٢٠٠١، ص ١٥٧)

ولا شك أن هذه التحديات قد فرضت نفسها على عناصر العملية التعليمية بأكملها من معلم، و متعلم، وبيئة صفية ، ومناهج ، وإدارة ؛ حيث استتبعها الدعوة للتجديد في الأدوار والمهام، وذلك بما يحقق رؤية المجتمع وفقا لتطلعاته الحاضرة والمستقبلية.

## ٢- مظاهر الاختراق الثقافي والفكري للتربية في العالم العربي.

ترى الدراسة أن الاختراق الثقافي قد طال أيضا النظم التربوية العربية، فالنظام التربوي لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ، وهناك بعض المظاهر التي تشير إلى حدوث هذا الاختراق، منها:

### الاعتماد على المنح والمعونات الأجنبية

تعتمد بعض البلدان العربية في تمويل أنظمتها ومشروعاتها التربوية على المنح والمعونات الأجنبية، وينظر البعض لهذه المنح نظرة ريبية من منطلق أنها لها تبعات خطيرة أهمها التدخل في العملية التربوية.

ويرى عمار أن المعونات وما تربت عليها من رواتب ومكافآت سخية ساهمت في تبرير وتمرير كثير من القضايا. وهو الأمر الذي جعل عملية تطوير التعليم أشبه بوضع زيت قديم في قناني التعليم أو صناعة قناني جديدة فارغة أو وضع مواد قابلة للانفجار في بعض القناني . لذا أكد على ضرورة استثمار الكفاءات الوطنية بأقصى حد ممكن ولا مانع من الاستفادة من المعونات الخارجية ولكن غير المشروطة. (عمار، حامد، ٢٠٠٩، ص ٤٧).

وتؤيد إحدى الدراسات وجهة النظر هذه؛ حيث ترى أن المستشارين الدوليين والاستشارات الدولية ونوعية المشروعات التي يتم الدفع بها من قبل الوكالات والهيئات الدولية يقف خلفها أغراض سياسية. (السيد، نسرين محمد عبد الغني، ٢٠١٧، ص ٢٢٤)

وقد أوضحت شهاب بعد استعراض عدد من مشروعات الاتحاد الأوروبي في مجال التعليم بالدراسة والتحليل، وجود بعض القيود المفروضة على المؤسسات المشاركة في المشروعات، والتي تتمثل في ضرورة الالتزام بالتطوير وفق معايير أوروبية تحدها الجهة المانحة للتمويل، بالإضافة إلى محدودية فرص تأسيس أقسام أو مؤسسات جديدة نتيجة التمويل المحدود والروتين والبيروقراطية الخاصة بإجراءات التأسيس وضرورة الحصول على موافقات واعتمادات من الجهتين، الجهة المشاركة والجهة المانحة للتمويل (الاتحاد الأوروبي). (شهاب، لبني محمود عبد الكريم، ٢٠١٩، ص ٢٦)

وتتفق دراسة أخرى مع الدراسات السابقة حيث ترى أن اختبارات التحصيل عبر الدولية والتي تقدم من خلال هيئات دولية وتقيس الاتجاهات في العلوم والرياضيات تعد مظهرا من مظاهر التدخل الأجنبي والذي ظهر في انصباغ بعض الدول تحت الضغوط التي تمارسها هذه المنظمات الدولية للمشاركة في هذه المقارنات من خلال معايير موحدة لا تراعي الخصوصية الاجتماعية والتاريخية، وهو ما يؤدي بالتالي إلى حصول طلاب المجتمعات المتقدمة في ظل هذه المقارنات على أعلى الدرجات والمستويات. (نجيب، كمال، ٢٠٠٧، ص ٧٣١). وفي نفس السياق أشار عناية إلى أن القروض من الهيئات والوكالات الدولية نوع من إحكام السيطرة من قبل الدول المانحة للدول الفقيرة وأن معظم الجهات المانحة لا تزال تستند في تقديم مساعداتها على أهداف ومصالح أنانية متنوعة سياسية وثقافية وتجارية ودينية، وتحولت من خلالها برامج المساعدات إلى تجارة رابحة يجب أن تستمر. (عناية، موسى، ٢٠١٥، ص ١٥٦)

### التدخل في المناهج

وهو انعكاس لا يفصل عما يسبقه؛ فمنذ أحداث سبتمبر الشهيرة زادت الهجمة علي البلدان الإسلامية عموما والعربية خصوصا، وبدأت تظهر في الغرب بعض الأفكار التي تروج للإرهاب الإسلامي متهمه إياه والوطن العربي بالإرهاب. ويرى شحاتة أنه منذ هذه الأحداث اعتبر الغرب أن البيئة العربية مكان خصب لتوليد العنف والاعتداء علي الغير، من هنا بدأت الدعاوى لتغيير المناهج العربية. (شحاتة، حسن، ٢٠٠٤، ص ٣٠)

وبناء على ذلك صدرت العديد من التقارير التي تنادي بتغيير المناهج، والتي تحدد فيها ما يلي:

- إنشاء مدارس أمريكية في البلدان العربية لجميع مراحل التعليم بحيث تكون مؤهلة للالتحاق بالجامعات الأمريكية.

- الاعتماد علي الخبراء والأكاديميين الأمريكيين في إدارتها مع بعض الخبراء العرب.
  - تنظيم دورات تدريبية مشتركة للمعنيين بالعملية التعليمية في الدول العربية أو في أمريكا تتضمن برامج تؤكد الصورة المثلي الأمريكية.
  - تخفيض رسوم الالتحاق بهذه المدارس لتشجيع الالتحاق بها.
  - دعم اللامركزية السياسية وبرامج الحكم المحلي خاصة في مجال التعليم.
- (الفريحات، هناء محمد، وقطيشات أمل رياض، ٢٠١٥، ص ٥٨)

وترى الدراسة الحالية أن هذا الأمر يرسخ لدى الإنسان العربي الإحساس بالدونية والعجز في مقابل الإحساس بالهيمنة والسيطرة من الطرف الآخر، هذا العجز الناتج عن الرضوخ لسياسات

الأخرين وتدخلها في أدق المسائل التي ينبغي أن تتسم بالخصوصية، ألا وهي تربية الإنسان .  
**التوسع في التعليم الأجنبي**

بدأت العديد من الدول الأجنبية في التوسع بشكل كبير في التعليم الأجنبي والذي يقدم للطلاب بعض المناهج غير العربية مثل الإنجليزية والأمريكية والصينية والروسية وغيرها .  
 وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن أبناء الدارسين في هذا النوع من المدارس يتحول انتماؤهم تدريجياً إلى البلاد التي تنتمي إليها المدرسة وتصبح أقصى طموحاتهم السفر إليها ، على الرغم من أن هذه المدارس قد ثبت قيامها ببعض المخالفات التي يرى البعض أنها تمس الأمن القومي العربي .  
 وقد اتضح ذلك من خلال فحص بعض الكتب مثل التاريخ والجغرافيا واتضح أنها تحتوي على بعض الأخطاء. هذا بالإضافة إلى التأثير السلبي للدراسة بهذا النوع المدارس منذ الصغر على اللغة العربية ودرجة إتقان الطالب لها. (محمدي، أيسم سعد، ٢٠١٧، ص٤٧). وتتفق النتيجة السابقة مع ما أشار إليه عمار ويوسف من أن التعليم الأجنبي لا يهتم بترويض الهوية العربية، كما أن هناك بعض الخلل في الإشراف على هذه المدارس الأجنبية. (عمار، حامد، ويوسف، محسن، ٢٠٠٦، ص١٣٦)  
 وترى الدراسة الحالية أن التوسع في هذا النوع من المدارس يؤدي إلى تكريس التفاوت الطبقي وعدم تكافؤ الفرص التعليمية وجعل خريجي هذا النوع من المدارس يشعرون بالتفوق والتميز عن نظرائهم في المدارس الحكومية. ويتفق ذلك مع نتائج إحدى الدراسات والتي أشارت إلى أن هذا يؤدي في النهاية إلى خلخلة التماسك الاجتماعي وتشجيع كل فئة أن تعزل نفسها مهتمة بشؤونها الخاصة ومصالحها المباشرة.

(هندي، عبد المعين سعد الدين، ٢٠٠٤، ص٢٦٥)

ويتفق ذلك مع ما ذهب إليه عمار من أن لهذه المدارس منهج ظاهر تعكسه المعارف والمقررات الرسمية والامتحانات، كما أن لها منهج خفي يخبئ وراءه التمايز بينها وبين المدارس الحكومية العادية، وذلك بما يؤدي إلى وجود طبقة من الصفوة الأرستقراطية التي تتحكم في مجريات الأمور في الدولة؛ بحكم تميز المواقع الوظيفية التي تحتلها بعد تخرجها، بسبب حصولها على نوعية متميزة من التعليم لم تتوفر للطبقات الأخرى. (عمار، حامد، ١٩٩٢، ص٩٨)

وتشير إحدى الدراسات إلى أن خريجي هذا النوع من المدارس يشعرون بالاعتزاز عن مجتمعهم ، كما يفقدون القدرة على التواصل الفكري والسياسي مع أفراد المجتمع ويتحول المجتمع إلى جذر ثقافية منعزلة، مما يسهم في ضعف تماسك أفرادها وتآكل نسيجه الاجتماعي. (زهو، عفاف محمد توفيق، ٢٠٠٧، ص٨١)

و ترى الدراسة الحالية أن الدراسة باللغة الإنجليزية منذ الصغر تؤثر سلباً على اللغة العربية، ويتفق ذلك مع نتائج إحدى الدراسات التي أوضحت أن التعليم باللغات الأجنبية دون سن الثانية عشر من الممكن أن يؤدي إلى حدوث تشويش لغوي لدى الأطفال فتختلط لديهم الحروف العربية بالأجنبية. (الروبي، مني سيد إبراهيم، ٢٠١٣، ص٥١٩). كما أوضحت إحدى الدراسات أن المناهج التي تدرس في المدارس الأجنبية لا تعبر بأي حال عن بيئة الطالب العربي الذي يعيش فيه، ولا ينبغي أن نطلق عليها مناهج عالمية، وإنما هي مناهج أجنبية تابعة للدول الآتية منها. (ناهد محمد، ٢٠١٢، ص٣٢٠)

وترى الدراسة الحالية أن التوسع في هذا النوع من المدارس يؤثر تأثيراً سلبياً على هوية الطالب؛ حيث يرتبط بالبلد الذي ينتمي إليه مدرسته، في الوقت الذي يشعر فيه بالاغتراب والعزلة عن مجتمعه وتاريخه وثقافته وهو ما يؤدي إلى حالة من التذمر والإحساس بالدونية ومن ثم الاستلاب الفكري والثقافي.

ولعل ذلك كله يستوجب قيام التربية بدور فاعل في مواجهة هذا الاستلاب، وهو ما ستعرضه الدراسة فيما يلي.

#### رابعاً: رؤية تربوية لمواجهة الاستلاب الفكري والثقافي في العالم العربي مقدمة

تعرضت الدراسة فيما سبق لمفهوم الاستلاب وأوضحت أنه مفهوم متعدد ومتشابك الأبعاد فهو يتضمن معاني عدة بداخله سبق الحديث عنها باستفاضة، كما تعرضت الدراسة لبعض العوامل التي أدت إلى شعور الإنسان العربي بالاستلاب الفكري والثقافي، وأوضحت أنه لا يركز على عامل واحد فقط، بل أن هناك العديد من العوامل المجتمعية والثقافية التي أدت إلى ذلك، وهذه العوامل منها ما هي عوامل خارجية مثل العولمة وما ترتب عليها من تداعيات، ومنها ما هي داخلية تعود إلى الثقافة العربية والسياسات والممارسات في بعض البلدان مثل الاستبعاد الاجتماعي في بعض الدول وإن كان في بعض أسبابه يعود إلى العوامل الخارجية أيضاً.

#### منطلقات الرؤية

- تلعب التربية دوراً هاماً في مواجهة الاستلاب الفكري والثقافي للإنسان العربي.
- تعد العولمة بتداعياتها المختلفة ذات أثر بالغ في شعور الإنسان العربي بالاستلاب.
- تتحقق مواجهة الاستلاب الفكري والثقافي للإنسان العربي من خلال تكاتف جهود الدولة والفرد معاً.
- تعتبر النهضة العربية الشاملة منطلقاً هاماً لمواجهة الاستلاب.

#### أهداف الرؤية المقترحة

- تقديم بعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في مواجهة الاستلاب الفكري والثقافي للإنسان العربي.
- تحديد بعض الإجراءات والممارسات التي يمكن أن تقوم بها بعض المؤسسات التربوية في مواجهة الاستلاب.
- مساعدة صاحب القرار في التعرف على بعض العمليات والممارسات التي يمكن أن تحقق ذلك.

#### عمليات وآليات تحقيق الرؤية المقترحة

- النهوض بالتعليم والبحث العلمي.
- تعزيز الهوية.
- تنمية الوعي الاستهلاكي السليم وتعظيم قيمة العمل والإنتاج.
- دمج الفئات المستبعدة والمهمشة.
- التربية الإعلامية.

وستعرض الدراسة فيما يلي لهذه العمليات مصحوبة ببعض الممارسات والإجراءات التي يمكن أن تسهم في تحقيقها وتطبيقها.

### (١) النهوض بالتعليم والبحث العلمي

تؤمن الدراسة الحالية إيماناً كاملاً بأن التعليم والبحث العلمي هما حقاً قاطرة التنمية، فلا توجد مجتمعات متقدمة في العالم المعاصر إلا وكان التعليم والبحث العلمي هما الأداة الرئيسة لذلك، فالقوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية التي حققتها بعض الدول ما كان لها أن تصل إليها إلا بالتعليم والبحث العلمي. لذا فإن هذا يستوجب بث روح البحث عن المعرفة والإبداع؛ فالعصر الحالي هو عصر العلم والمعرفة، ومن يمتلك المعرفة هو الذي سيحكم في العالم ومصيره، وبالتالي فلا سبيل لسد الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب إلا بالتفوق في المجال العلمي والتقني، ونشر روح الإبداع؛ بحيث تكون المنطلق الأساس الذي تتكوّن من خلاله سائر الغايات التربوية، وتوجه عمل التربية، إذا ما أردنا الحفاظ على الهوية الثقافية حيّة وفاعلة.

وترى الدراسة الحالية أن إحساس الإنسان العربي بالضعف العام في مجتمعه يعتبر من أهم عوامل الاستلاب، ومواجهة ذلك يتطلب النهوض بالمجتمع ككل ولا يمكن أن يتحقق ذلك بدون تعليم جيد وبحث علمي متقدم، وتعرض الدراسة فيما يلي لبعض الإجراءات التي يمكن أن تسهم في ذلك:

### فيما يتعلق التعليم

- ❖ تعظيم قيمة العلم والعلماء: ويمكن أن يكون ذلك من خلال الإجراءات مثل: تسليط الضوء عليهم وعلى مسيرتهم العلمية من خلال الندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام، وكذلك من خلال المناهج الدراسية، بالإضافة إلى تكريمهم في كافة المحافل ودعمهم مادياً ومعنوياً. وترى الدراسة أن هذه هي البداية الحقيقية للنهوض بالتعليم.
- ❖ إجراء دراسات مقارنة لنظم التعليم في الدول العربية والأجنبية للوصول إلى أفضل نظام يمكن تطبيقه والاستفادة منه كل حسب طبيعته، وتبادل الخبرات بينها في هذا الشأن.
- ❖ الاهتمام بالتكوين الجيد للمعلم؛ حيث ترى الدراسة أن التعليم الجيد لا يمكن أن يتحقق دون معلم جيد-والذي بدوره مهما كانت الإمكانيات المادية والتكنولوجية لن ينصلح حال التعليم- وهذا يتطلب الاهتمام بالمعلم بدءاً من الاختيار ثم الإعداد، ثم التنمئة المهنية، وفوق ذلك تحسين أوضاعه المادية وتغيير الصورة الذهنية عن المعلم في وسائل الإعلام من خلال الندوات والمحاضرات والمؤتمرات، ولن يحدث ذلك دون أن تكون البداية هي تحسين دخل المعلم وتكريمه مادياً وأدبياً.
- ❖ إعادة النظر في أهداف التعليم العربية وصياغتها وفق متطلبات العصر ومقتضياته.
- ❖ الاهتمام بتنمية المهارات اللازمة للطلاب في هذا العصر من نقد وتحليل واستنتاج وتقويم، ونشر المعرفة وتطبيقها وتوظيفها والاستفادة منها في حياته بدلاً من الاقتصار على الحفظ والتلقين، وذلك في كافة مراحل الدراسة، وذلك بما يمكنه من التفاعل مع الثقافات الأخرى بوعي، ومعرفة الغث من الثمين فيما يستقبله من آراء وأفكار.
- ❖ عقد اجتماعات دورية حقيقية وجادة مع أولياء الأمور وكافة العاملين في المؤسسات التعليمية لمتابعة أحوالها العلمية والإدارية واكتشاف المشكلات والمساهمة في حلها.

- ❖ تزويد المكتبات بمصادر المعرفة المختلفة لتنمية المعرفة والبحث لدى الطلاب.
- ❖ توفير الإمكانات المادية والبشرية المناسبة للمؤسسات التعليمية والتي توفر مناخا جيدا لتنفيذ المنهج بكافة نشاطاته.
- ❖ وضع اللوائح والقوانين التي تضمن التعاون وكذلك المساءلة للجميع من معلمين وطلاب وإداريين وقيادات دون استثناء.

### فيما يتعلق بالبحث العلمي:

- ❖ التوسع في المنح للمتفوقين والمبدعين في الجامعات المحلية والأجنبية سواء للطلاب أو الباحثين، والتوسع في التبادل العلمي والتوأمة بين الدول العربية والأجنبية والاستفادة من خبراتها.
- ❖ بث روح البحث العلمي الجاد وغرس حب العلم لدى الطلاب من خلال المناهج الدراسية، وتمكينهم من مهارات البحث عن المعرفة وتحليلها وتقييمها، وجعلها مادة أساسية في التعليم الجامعي.
- ❖ الاهتمام بالبحوث المستقبلية التي تسعى لاستشراف المستقبل، وتحديد المجالات البحثية اللازمة وفق متطلبات السوق.
- ❖ إنشاء هيئة بحثية عربية مشتركة تعنى بالمجالات التي تتطلبها المنطقة العربية وتسويقها.
- ❖ توفير الإمكانات المادية والبشرية المناسبة للمؤسسات البحثية والتي توفر مناخا جيدا للقيام بالبحث العلمي الجاد.
- ❖ إيجاد آليات لتسويق البحوث العلمية بشل جاد وفاعل وعقد شراكة مع المؤسسات التي تتولى ذلك.
- ❖ تنمية مهارات الباحثين في تسويق البحوث العلمية والتعاون والتواصل مع جهات التسويق داخل وخارج بلده.

### (٢) تعزيز الهوية

الإنسان المستلب يشعر بالغربة والاعتراب عن مجتمعه وكأنه في عالم بعيد عنه وعن تفكيره، وعن طريقته التي تربي عليها، ويكون من السهل انقياده للثقافات الأخرى ما لم يكن معترزا بهويته. وترى الدراسة الحالية أنه لا غضاضة من الاستفادة من الآخرين فيما يفيد تقدم مجتمعنا العربي من الناحية العلمية والاقتصادية، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى ذوبان هوية الإنسان العربي بحيث يخفى ما يميزه تدريجيا ويتوه في ثقافات الآخرين، وتستخدم الباحثة لفظ "يتوه" لأن الإنسان العربي لن يستطيع أن يكون إنسانا غربيا كاملا ولن يستطيع أن ينسلخ كلية عن عرويته. من هنا لا بد على التربية أن تعزز لديه الهوية بحيث يكون قادرا على مواجهة أي تيار ثقافي وافد، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال بعض الإجراءات والتي منها ما يلي:

- ❖ توعية الشباب بأهم التيارات والثقافات الوافدة وكيفية التعامل معها، وضرورة الاعتزاز بدينه ولغته وتاريخه، وفي سبيل تحقيق ذلك لا بد أن تتكاتف كافة المؤسسات التربوية بدءا من الأسرة، والمدرسة، ثم وسائل الإعلام.. الخ.

- ❖ تنمية الجانب القيمي والديني والأخلاقي لدى الأفراد وهو الأساس الذي يصنع منه شخصية سوية متزنة واضحة الملامح والهوية، وتلعب المدرسة والمؤسسات التربوية كافة دورا هاما في ذلك، كما يمكن أن يتحقق ذلك من خلال المؤتمرات والندوات والمحاضرات العامة.
- ❖ تقديم المثل الأعلى والقُدوة للشباب وتسلط الضوء عليهم في وسائل الإعلام المختلفة ومن خلال الندوات والمحاضرات التي يمكن إقامتها في العديد من الأماكن مثل المدارس والجامعات والجمعيات، وكذلك من خلال المناهج الدراسية.
- ❖ تنمية قدرة الأفراد على التعامل البناء والإيجابي مع التعددية الفكرية والثقافية والعرقية والسياسية والاقتصادية، ويتطلب ذلك من المؤسسات التربوية تنمية روح التسامح واحترام الرأي الآخر والتعددية الثقافية.
- ❖ تنمية القدرة على التفكير الناقد عند المتعلم من خلال طرق التدريس والأساليب الامتحانية التي تنمي وتدعم هذه القدرة، والتي تمكن الطالب من الانتقاء والاختيار والانفتاح الواعي والسليم علي الثقافات الأخرى.
- ❖ الاهتمام بسير العلماء العرب والمسلمين مصحوبا بالسياق الثقافي والاجتماعي والاقتصادي الذي وجدت فيه، وكذلك الأحداث التاريخية واستخلاص العبر من النصر أو الهزيمة، سواء كان ذلك عن طريق المناهج الدراسية وما يرتببب بها من أنشطة او عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.
- ❖ تبني موقف تربوي موحد وجماعي لمواجهة التدخلات الأجنبية في العملية التربوية، والحد من تمددها والتنوعية بخطررتها من خلال في المؤتمرات والندوات الجمعيات التربوية وروابط التربية والبحوث الجامعية
- ❖ الاهتمام باللغة العربية وتنمية حب الطالب لها والاعتزاز بها، لأنها من أهم الأسس التي تركز إليها الهوية العربية ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال ما يلي:

#### المؤسسات التعليمية:

المؤسسات التعليمية يمكن أن تقوم بدور هام في هذا الصدد بخاصة في ظل تدنى مهارات اللغة عموما عند الكثيرين وخصوصا فيما يتعلق بالقراءة والكتابة، ومن الإجراءات التي يمكن أن تسهم في ذلك:

- التدقيق في اختيار معلمى اللغة العربية.
- الإعداد الجيد لمعلمى اللغة العربية.
- زيادة الحصص المقررة للإملاء والإنشاء.
- جعل اللغة العربية مقروا إجباريا كمتطلب جامعة في المرحلة الجامعية.

- الاهتمام بالأنشطة المتعلقة بالقراءة والمسرح والشعر وكافة أشكال الفنون الأدبية العربية.
- إلزام معلمى اللغة العربية بالحديث باللغة العربية الفصحى أثناء التدريس.

## وسائل الإعلام

- والتى يمكن أن تقوم بدور هام أيضا ومن الإجراءات التي يمكن اتباعها في ذلك:
- ضرورة التشدد في الإجراءات المتعلقة باختيار المذيعين من حيث سلامة النطق.
- زيادة الاهتمام بالبرامج والمسلسلات التاريخية التي يستخدم فيها أبطالها اللغة العربية الفصحى السليمة.
- الاهتمام بمسلسلات الأطفال الناطقة باللغة العربية الفصحى وهى أداة هامة؛ خاصة في ظل طبيعة الطفل الذى يميل إلى التقليد.

والاهتمام باللغة العربية ليس معناه إهمال اللغة الأجنبية، شريطة أن يتم ذلك بعد تمكن الطالب من اللغة العربية، فليس من المعقول أن يتم إحياء اللغة العبرية في الوقت الذى تضمحل فيه اللغة العربية!

## ٣) تنمية الوعي الاستهلاكى السليم وتعظيم قيمة العمل والإنتاج

يجب توعية الأفراد بكيفية تقنين الاستهلاك وترتيب أولويات الإنفاق والبعد عن أنماط الاستهلاك السلبية، وتشجيع السلوكيات السليمة في الإنفاق والبعد عن المظهرية، وتعظيم قيمة العمل والإنتاج وذلك من خلال ما يلى:

- ❖ تفعيل وسائل الإعلام بمختلف أنواعها في التوعية بالثقافة الاستهلاكية السليمة؛ حيث تعتبر من الآليات الفعالة؛ وذلك لما يتميز به الإعلام من انتشار وتأثير كبير في المشاهدين، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال البرامج التلفزيونية والإذاعية ووسائل التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال بعض الإجراءات التالية:
- ❖ نشر الوعي بين الأفراد حول العادات الاستهلاكية السلبية، وكذلك توعية المجتمع بخطورتها.
- ❖ تعظيم قيمة العمل والإنتاج والاعتماد على النفس وحفز الهمم العالية حتى يصبح الفرد منتجا وليس مستهلكا، وتنمية الوعي بالاستثمار والادخار وتوجيه جزء من مدخرات الإنسان لعملية الإنتاج بما يخدم الحاضر والمستقبل على المستوى الفردى والجماعى وتكوين ثقافة أصيلة واتجاهات إيجابية لديه نحوها، وذلك من خلال البرامج الهادفة والمقالات في الصحف.
- ❖ التوعية بموقف الدين الإسلامى من قضية الإنفاق عموما؛ حيث يحدث على الاستهلاك العقلاني والتوازن في الإنفاق والاعتدال في استخدام الموارد بما تحمله من فرص الخيرية والاستدامة وترقية فرص الاستفادة منها للأجيال القادمة وليعم نفعها مختلف الفئات.



- ❖ الأنشطة الطلابية في المدارس والجامعات وكذلك المحاضرات التي يمكن أن تقدم للطلاب عن ترشيد الاستهلاك وأهمية الإدخار للفرد والمجتمع، وقيمة العمل وأهميته للفرد ولبناء المجتمع، ونظرة الدين له.
- ❖ المناهج الدراسية وما تتضمنه من موضوعات عن الاستهلاك السليم المتوازن وقيمة العمل والإنتاج ومخاطر الثقافة الاستهلاكية غير السليمة على الفرد والمجتمع.
- ❖ برامج تثقيفية وتوعوية لتقنين السلوك الاستهلاكي وضبط مداخله وآلياته، والعروض التسويقية والترويجية الاستهلاكية، وتأكيد جودة السلع المعروضة في السوق، وترقية الخدمات المقدمة والإعلانات وغيره.
- ❖ تنمية الوعي لدى الأفراد بالمخاطر الناتجة عن الاستهلاك السلبي، وكيفية التعامل مع الأزمات والتحديات المالية والتكيف مع مستجدات الواقع وتعميق مفهوم المسؤولية الذاتية.
- ❖ ترقية الحس الشخصي، وتوظيف المهارات الشخصية في إيجاد فرص استثمارية ناجحة، وإدارة المشروعات الاستثمارية الصغيرة، وإيجاد برامج عملية تقنن السلوك الاستهلاكي وتتيح فرصاً أكبر للبحث عن مساحات أوسع للإدخار والاستثمار.
- ❖ تعزيز ثقافة المقاومة في مقابل ثقافة الاستهلاك؛ وذلك من خلال تحويل المجتمع إلى مجتمع منتج وقد يحتاج ذلك إلى إعادة النظر في بعض السياسات التربوية والتعليمية بهدف تأصيل سلوك الترشيد، وإعادة النظر في القنوات الشخصية، وتبني برامج توعوية إنتاجية متكاملة تبدأ من الأسرة مروراً بالمدرسة والمسجد ومؤسسات المجتمع المختلفة، وتحقيق التوازن بين الاستجابة لمتطلبات الحياة الأساسية ودخل الفرد.

#### ٤) دمج الفئات المستبعدة والمهمشة

- للاستبعاد نتائج سلبية فهو ذو علاقة بالجريمة والعنف والسلوك المتمرد ضد المجتمع بكافة أشكاله، كما يؤدي إلى هجرة الكفاءات خارج الأوطان. لذا فمن مصلحة المجتمع دمج هذه الفئات وتحويلهم من أشخاص يعملون ضد المجتمع إلى مواطنين صالحين يشاركون في تقدمه وتطويره. ويقع على كاهل الدولة دوراً كبيراً في هذا الصدد بما لديها من سياسات وقدرة على وضع التشريعات واتخاذ القرارات وتفعيلها.
- وقد سبق وأن تعرضت الدراسة لمفهوم الاستبعاد الاجتماعي وبعض مظاهره في العالم العربي وتعتبره من أهم عوامل الاستلاب. لذا ترى أن دمج مثل هذه الفئات وجعلها جزءاً أصيلاً من نسيج المجتمع من الأمور الهامة التي يمكن أن تقلل من شعور الفرد بالاستلاب. وحتى يتحقق ذلك لا بد من اتخاذ بعض الإجراءات منها ما يلي:
- ❖ تحسين أحوال الفقراء عموماً وذلك باتباع سياسات وبرامج لمكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين الأحوال الصحية.

- ❖ سن القوانين والتشريعات التي تعزز من مساهمة المرأة في الحياة العامة وتطبيقها.
- ❖ سن القوانين والتشريعات التي تسمح بدمج بعض الفئات في بعض الدول العربية في الحياة العامة حتى ولو بالتدرج "مثل البدون والحراطين"
- ❖ الاهتمام بالتعليم الحكومى لتجسير الفجوة بين الأغنياء والفقراء.
- ❖ مشاركة أكبر للشباب في كافة شؤون الحياة؛ حيث يعتبرون قوة كبرى تضاف للمجتمع وأساسا لتقدمه وتطوره.
- ❖ الاهتمام بالتدريب وتنمية مهارات سوق العمل للشباب والفئات الفقيرة.
- ❖ الاهتمام بذوى الاحتياجات الخاصة ومحاولة دمجهم في المجتمع من خلال بعض برامج التكوين المهنى التي تساعدهم في ذلك وخلق فرص عمل مناسبة لهم.
- ❖ الاهتمام بالتعليم المهنى والفنى وتغيير نظرة المجتمع لخريجيه، ولا يمكن أن يحدث ذلك دون الارتقاء به من خلال بعض الإجراءات مثل:
  - الإعداد الجيد لمعلمى الثانوى الفنى.
  - تطوير برامج إعداد معلمى التعليم الفنى.
  - تزويد المدارس بالإمكانات المادية اللازمة من مختبرات، وورش، وأجهزة تمكنهم من الممارسة الفعلية لما يدرسونه نظريا.
  - التوعية المجتمعية بأهمية التعليم الفنى وتغيير نظرة المجتمع له، من خلال وسائل الإعلام المختلفة.
  - إجراء الدراسات التي تتناول احتياجات ومطالب الفئات المهمشة والمستبعدة وكيفية تليبيتها، ودمجهم في مجتمعاتهم.

##### (٥) التربية الإعلامية في مواجهة ثقافة الصورة والتكنولوجيا الحديثة

ترى الدراسة أنه من المستحيل تجاهل الثورة التكنولوجية الهائلة التي يعيشها العالم الآن، فهي فرضت نفسها بقوة على العالم بأسره، ولكن ما يمكن فعله هو استيعاب هذه التكنولوجيا ومواءمتها مع البيئة، مع الحفاظ في ذات الوقت على الخصوصية المحلية والتاريخية؛ إذ من العبث تجاهلها. وفي هذا الصدد لابد من الاهتمام بالتربية الإعلامية التي ينبغي أن تستند إلى استراتيجية تربوية تمكن الأفراد من مواجهة التحديات التي يزر بها العالم الافتراضى ومنها ثقافة الصورة، وبما يحقق لهم الحصانة الأخلاقية والعقلية.

ولتحقيق ذلك فإن هذا الأمر يتطلب التعاون بين المؤسسات التربوية بدءا من حضانة الأطفال ثم المدرسة، والجامعة، وكذلك الإعلام بكافة وسائله، بحيث تتكاتف جميعها في توعية الأفراد بالصورة وتأثيرتها ومخاطرها، على أن يشمل ذلك ما يلى:

- ❖ تكثيف البرامج القيمية والثقافية الهادفة إلى تحصين الأفراد من الوارد إعلاميا من الدول الأخرى وذلك من خلال وسائل الإعلام والإنترنت والصحافة وإقامة الندوات والمؤتمرات في هذا الشأن.
- ❖ وضع برنامج لإنشاء صناعات ثقافية في البلدان العربية يحقق عملية التوازن بين المحتوى الإعلامي والرقمي العالمي المستورد، وبين المحتوى الإعلامي الرقمي المنتج عربيا.
- ❖ نشر واستخدام التكنولوجيا وتسهيل التعامل معها والاستفادة من المعلومات في مؤسسات المجتمع كله.
- ❖ زيادة الاهتمام بإنشاء بنوك للمعلومات في البلدان العربية المختلفة.
- ❖ تنمية قدرة الأفراد على معرفة الرسائل الإعلامية وتقييمها بأساليب علمية سليمة.
- ❖ تنمية مهارات التعاون والعمل في فريق لدى الطلاب والمساهمة في حل مشكلات المجتمع، سواء بإبداء الرأي أو المساهمة الفعلية ودور الفرد فيها، وللمؤسسات التعليمية دور كبير في ذلك.
- ❖ تنمية قدرة الطالب على التفكير الناقد والتأمل فيما يُبث من مواد إعلامية إيجابية وسلبية وكيفية التعامل معها.
- ❖ إلزام وسائل الإعلام بميثاق شرف إعلامي ينتهج المصداقية والأمانة فيما تقدمه لمساعدة هؤلاء الشباب على مواجهة تحديات المستقبل.
- ❖ تعزيز لغة الحوار والمشاركة الفعالة بين المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام.
- ❖ تنمية قدرة المتعلم على فهم الصورة والغاية منها والكشف عن خفاياها ومضمونها، وفهم لغتها وفك رموزها.
- ❖ تمكين الأفراد من القراءة النقدية للصورة، وما تحمله من قيم قد تهدف إلى استلاب الوعي وتدمير الطاقة النقدية لديهم.

### معوقات تطبيق التصور المقترح

- ١- ضعف الإمكانيات المادية والبشرية لدى بعض البلدان والتي تمكنها من تطوير مؤسساتها التعليمية والاقتصادية والسياسية.
- ٢- سوء الإدارة في كثير من المؤسسات، والتي تمثل عائقا كبيرا في سبيل تحقيق التقدم المنشود، ومن ثم الوصول للمنافسة العالمية .
- ٣- غلبة الروح الانهزامية لدى الكثيرين واقتناعهم أنهم الأضعف، وأنهم غير قادرين على تحقيق التقدم مقارنة ببعض الدول المتقدمة.

- ٤- العادات والتقاليد السائدة في بعض البلدان والتي من الصعب تغييرها، سواء فيما يتعلق بالمرأة أو بعض الأجناس والعرقيات.
- ٥- صعوبة تغيير الثقافة السائدة لدى البعض ونظرتهم الدونية إلى بعض أنواع التعليم مثل التعليم المهني.
- ٦- وجود ثغرات في بعض القوانين تفضي إلى التمييز في بعض الأحيان، وعدم تطبيق القانون في أحيان أخرى.
- ٧- سيطرة الإعلام غير الهادف في كثير من الأحيان على العقول والتفكير، سواء كان محليا أو عالميا.
- ٨- الثورة التكنولوجية الهائلة وما تفرضه من انفتاح على الثقافات الأخرى، بصورة قد يصعب فيها السيطرة على المد الغربي بقيمه وثقافته في المجتمع العربي .

#### كيفية التغلب على هذه المعوقات

- ١- تطبيق مفهوم الحوكمة الرشيدة بما تتضمنه من مساءلة، وشفافية، وكذلك محاربة الفساد. فالدراسة ترى أن كثيرا من الدول العربية لا ينقصها الموارد، بل المشكلة تكمن في سوء إدارة هذه الموارد، ومن ثم فإن الإدارة الجيدة لا بد أن تنطلق من هذه المبادئ.
- ٢- تنمية روح الانتماء والولاء والمسؤولية والثقة بالنفس لدى الإنسان العربي، من خلال الإعلام الهادف، والمناهج التعليمية، والأسرة، وجميع المؤسسات التربوية التي يمكن من خلالها إلقاء الضوء على النماذج المشرفة قديما وحديثا في كافة المجالات، وعرض لإنجازاتهم، وتكريم هذه النماذج باستمرار ورعايتها، حتى تصبح نموذجا ومثالا يقتدى به وبث الأمل في نفوس الشباب .
- ٣- الرقابة على المصنفات الفنية بجميع أنواعها بما يحفظ للمجتمع هويته، واستبعاد ما يتنافى مع قيم وعادات وتقاليد وهوية الإنسان العربي عموما، أو ما يهدم قيمه وأخلاقه.
- ٤- سن القوانين التي تحفظ الكرامة لكافة المواطنين وبما يحقق المساواة للجميع دون تمييز بين عرق أو دين أو لون، مع العمل على تطبيقها بجديّة وصرامة.
- ٥- الاهتمام بالبحث العلمي وتسخير كافة الإمكانيات له لأنه أساس التقدم في كافة المجالات.

٦- وجود إرادة سياسية وشعبية، تهتم بتحقيق الرؤية المقترحة وما تتضمنه من مقترحات .

### مراجع الدراسة

#### أولاً: المراجع العربية

- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (١٨٥٨) : مقدمة ابن خلدون، دمشق، دار يعرب .
- الأحمّد، وسيم حسام الدين (٢٠١٦) : التمكين السياسي للمرأة العربية دراسة مقارنة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، المملكة العربية السعودية، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
- الأمم المتحدة (٢٠٠٨) : مجلس حقوق الإنسان، الدورة السابعة، البند ٣ من جدول الأعمال بعنوان، تعزيز وحماية حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك حق التنمية، ٢٨ فبراير .
- بن تركي، أسماء (٢٠١٢) : تشكل صور الاستبعاد الاجتماعي: الفقر والبطالة في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد ٢٤، مارس.
- بن نبي، مالك (١٩٨٧) : المسلم في عالم الاقتصاد، دمشق، دار الفكر.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣ : نحو إقامة مجتمع المعرفة: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، عمان، المكتب الإقليمي للدول العربية.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٩ : تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، عمان، المكتب الإقليمي للدول العربية.
- تقرير التنمية الإنسانية العربية (٢٠١٦) : الشباب وآفاق التنمية واقع متغير، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، عمان، المكتب الإقليمي للدول العربية.
- جلال، شوقي (٢٠٠٠) : (العقل الأمريكي يفكر، الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، القاهرة، مكتبة مدبولي.
- حجازي، أحمد مجدي وآخرون (٢٠٠٨) : نحو منظومة القيم الإيجابية الداعمة لرؤية مصر، القاهرة، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مركز الدراسات المستقبلية .
- حجازي، أحمد محمد (٢٠٠٩) : الخطاب الثقافي للعولمة: الإشكاليات والتحديات، دين، القاهرة .
- الحديثي، مؤيد عبد الجبار (٢٠٠٢) : العولمة الإعلامية، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.
- حرب، علي (١٩٩٧) : الاستلاب والارتداد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- حسن شحاتة (٢٠٠٤) : مدخل إلى تعليم المستقبل في الوطن العربي، القاهرة، الدار المصرية للكتاب.

- الحسينات، عمر جاسر (٢٠١٦): أسباب عزوف الطلبة عن الالتحاق بالتعليم المهني والتقني في المجتمع الاردني من وجهة نظر طلبة جامعة البلقاء التطبيقية، مجلة التنمية وإدارة الموارد البشرية، الأردن، العدد ٢، الجزء الخامس.
- حلبى، شادي (٢٠١٢): واقع التعليم المهني والتقني ومشكلاته في العالم العربي: دراسة حالة الجمهورية العربية السورية، دمشق، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد ٢٨، تشرين الأول.
- الديب، هدى أحمد (٢٠١٥): الاستبعاد الاجتماعي ومخاطره على المجتمع، مجلة إضافات، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٣٢-٣١.
- الروبي، منى سيد إبراهيم (٢٠١٣): الإحساس بالهوية وعلاقتها بالانتماء لدى عينة من طلاب المدارس الحكومية والدولية، مجلة الإرشاد النفسي، القاهرة، ع ٣٥، أغسطس.
- زايد، أحمد عبد الله (٢٠٠٩): الأطر الثقافية الحاكمة لسلوك المصريين واختياراتهم، دراسة لقيم النزاهة والشفافية والفساد، جمهورية مصر العربية، القاهرة، وزارة التنمية الإدارية، لجنة الشفافية والنزاهة.
- زايد، أحمد (د.ت): علم الاجتماع ودراسة المجتمع، القاهرة، مكتبة النصر.
- زبغنيو بريجنسكي (١٩٩٩): رقعة الشطرنج الكبرى، الأولية العسكرية الأمريكية الجيو استراتيجية، ترجمة أمل الشارقة، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع.
- زروخي، الدراجي (٢٠١٧): التربية وتحديات الانفتاح على الآخر في ظل العولمة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد السابع، الجزائر، الجزء الثاني، يونية.
- الزعلان، إياد، (٢٠١٣): ملامح العقلية العربية المهزومة، مجلة دنيا الرأي، فلسطين، ٣/٢٥، ٢٠١٣.
- الزقاي، نادية مصطفى (٢٠١٥): الاغتراب مفهوم ودلالات، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد ٧، رقم ١٨.
- زهو، عفاف محمد توفيق (٢٠٠٧): دور التعليم في تربية المواطنة لعصر العولمة، مجلة كلية التربية، بنها، المجلد ١٧، العدد ٦٩، يناير.
- حنفي، حسن (٢٠٠٤): حصار الزمن: إشكالات الحاضر، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.
- سعادنة، جمال (٢٠١٦): العولمة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية، مجلة الأثر، جامعة باتنة، الجزائر، العدد ٢٤، مارس.
- السيد، نسرين محمد عبد الغني (٢٠١٧): التعليم في مصر وتوجهات العولمة والليبرالية الجديدة، مقاربة من منظور علمي، مجلة كلية التربية، جامعة المنوفية، العدد الثالث.
- شرابي، هشام (١٩٩١): مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دمشق، دار الطليعة.
- شوايش، محمد محمد (٢٠٠٧): نحو ثقافة تأصيلية، دمشق، دار نينوى.

- شهاب، لبنى محمود عبد الكريم (٢٠١٩) : دراسة مقارنة لنقل بعض سياسات تكوين المعلم من الدول الأوروبية إلى الدول العربية فى إطار برنامج "الحراك عبر الأوروبى للدراسات الجامعية- تمبس"، مجلة كلية التربية ،جامعة بور سعيد، المجلد ٢٦.
- الضبع، ماهر (٢٠٠٦): العولمة وقضايا الهوية الثقافية، الكتاب الأول، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- طالب، محمد سعيد (٢٠٠٠): الثقافة المقهورة والثقافة المنتصرة، دمشق، الدار الوطنية الجديدة.
- عبد الجبار، فالح (٢٠١٨): الاستلاب (هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس)، بيروت، دار الفارابى.
- عبد العال، محمد سيد ضاحى (٢٠١٢) : التعليم والاستبعاد الاجتماعى بمصر، دراسة تنبؤية لخريجى المدارس الفنية الصناعية، رسالة ماجستير منشورة، القاهرة، معهد الدراسات التربوية.
- عبد الغفار، عادل (٢٠١٥) : دور الإعلام فى دعم قضايا مكافحة عمل الأطفال، ورشة العمل الإقليمية حول سياسات الحد من عمل الأطفال، شرم الشيخ، المجلس العربى للطفولة والتنمية، منظمة العمل العربية ٣-٤ ديسمبر.
- عبد الغنى، مصطفى (٢٠٠٠): المثقف العربى والعولمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- عبد المطلب، جمال محمد (١٩٩٦): الاسرة والتعليم الصناعى " دراسة ميدانية لعينة من طلاب المدارس الثانوية الصناعية بمدينة بنى سويف، رسالة ماجستير منشورة، جامعة القاهرة، فرع بنى سويف .
- عكلو، جميل (٢٠١٦) : الشخصية المستتلبة فى الرواية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة ذي قار، كلية التربية للعلوم الإنسانية العراق.
- على، سليم كاطع (٢٠٠٩) : مقومات القوة الأمريكية وأثرها فى النظام الدولى، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد ٤٢ .
- على نبيل (٢٠٠١) : الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافى العربى، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٦٥، يناير.
- عمار، حامد، ويوسف، محسن (٢٠٠٦): إصلاح التعليم فى مصر، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية.
- عمار، حامد (٢٠٠٩) : دراسات فى التربية والثقافة، القاهرة ، الدار العربية للكتاب.
- عوض، شريف محمد (٢٠١٣) : صناعة الثقافة فى عصر المعلومات وأثرها فى تغيير ملامح الهوية الثقافية، مجلة هرمس، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، القاهرة، المجلد الثانى، العدد ٢١، يناير.

- عوض، محسن (٢٠١٢): قضايا التهميش والوصول إلى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، نحو مقاربات جديدة لمكافحة التهميش في العالم العربي، القاهرة، المعهد العربي لحقوق الإنسان، ديسمبر.
- فتحي، إسماعيل بن حسين عبدالله (٢٠١٥): إشكاليات البحث العلمي في الوطن العربي، جامعة الملك سعود، بحث منشور على الموقع التالي:  
<http://fac.ksu.edu.sa/ifathi/blog/> ١٠٥٩٧٩
- فروم، إيريك (٢٠٠٣): الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق حميد لشهب، تقديم راينزفونك، الرباط، فيديبرانت للنشر والتوزيع.
- الفريحات، هناء محمد، وقطيشات أمل رياض (٢٠١٥): العولمة مفهومها وتحدياتها التربوية والداخلية والخارجية وسبل مواجهتها، المجلة التربوية الدولية المتخصصة، الأردن، المجلد الرابع، العدد الثاني.
- القليني، فاطمة (٢٠٠٠): دور الإعلان التليفزيوني في تدعيم قيم العولمة الثقافية بين الشباب، ندوة الشباب ومستقبل مصر، القاهرة، كلية آداب جامعة القاهرة، ٢٩-٣٠ أبريل.
- قويدر، إبراهيم (٢٠٠٧): فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى "هجرة العقول العربية، ليبيا، مجلة ليبيا اليوم الإلكترونية، عدد ٢٣ يوليو.
- كلاع، شريفة (٢٠١٥): الجامعات العلمية والبحث العلمي، قراءة في واقع البحث العلمي ومعيقاته، المؤتمر الدولي التاسع، الجزائر، جامعة الجزائر، ١٨-١٩ أغسطس.
- كمال نجيب (٢٠٠٧): المعايير التربوية في مصر: دراسة نقدية لمشروع إصلاح التعليم في عصر الليبرالية الجديدة، مجلد ٢، المؤتمر العلمي التاسع عشر، تطوير مناهج التعليم في ضوء معايير الجودة، القاهرة، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس.
- كنعان، أحمد علي (٢٠٠٤): دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة، بحث مقدم إلى مؤتمر العولمة وأولويات التربية، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود في الفترة ٢٠-٢٢/٤.
- اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) (٢٠٠٩): متابعة قضايا ذات أولوية في مجال التنمية الاجتماعية في منطقة الإسكوا، لجنة التنمية الاجتماعية، الإدماج الاجتماعي. وثيقة ٨، الدورة السابعة والعشرون، تشرين الأول، بيروت، البند (٥) (أ) من جدول الأعمال المؤقت.
- ماكجين، تيريز (٢٠١٥): الاحتماء من العاصفة، البرنامج التطويري للنساء والفتيات في عالم معرض للآزمات، صندوق الأمم المتحدة للسكان عن حالة السكان في العالم، نيويورك، مؤسسة بروغرافيكز.
- مجاهد، محمد إبراهيم عطوة (٢٠٠١): بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها، مجلة مستقبل التربية العربية، القاهرة، مجلد ٧ عدد ٢٢.



- محمدي، أبيسم سعد (٢٠١٧): تعزيز الهوية الثقافية العربية في مدارس التعليم الأجنبي دراسة ميدانية، مجلة العلوم التربوية، كلية الدراسات العليا التربوية، جامعة القاهرة، العدد الرابع، أكتوبر.
- مراد، بركات محمد (٢٠٠٧): ثقافة الصورة، العولمة وتعزيز الهوية واستلابها، مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر، الصورة في الإعلام والفنون، عمان، الأردن، الدورة الثانية، ٢٠٠٧/١١/١-١٠/٣٠.
- المركز العربي للأبحاث والدراسات (٢٠١٤): جدليات الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والأمة في الوطن العربي، بيروت.
- مركز كارنيجي للشرق الأوسط (٢٠١٩): لماذا لا يقبل الطلاب العرب على التعليم المهني، إبراهيم سيف، علي الموقع التالي: <https://carnegie-mec.org/2019/05/08/ar-pub-08/05/2019/6/10/48061>
- معجم المعاني على الموقع التالي: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-15/8A%D%7A%D%84%9AA%D%D%B%D%7A%8ar%D2019/7>
- منظمة العمل الدولية على الموقع التالي <https://www.un.org/ar/sections/nobel-peace-prize/international-labor-organization-ilo/index.html> , ٢٠١٩/٧/١٥
- المنظمة العربية لحقوق الإنسان (٢٠١٩): على الموقع التالي ٢٠١٩/٣/٣ [www.aohr.net](http://www.aohr.net)
- منظمة العمل العربية (٢٠٠٨): على الموقع التالي: <https://alolabor.org/> ٢٠١٩/٢/٢٦
- موسي، عالية (٢٠١٥): المساعدات الخارجية للدول النامية بين المطرقة والسندان، مجلة بحوث اقتصادية عربية، لبنان، العدد ٦٩.
- المهدي، مجدى صلاح طه (٢٠٠٩): مشروع الشرق الأوسط الكبير، الآليات- المواجهة، القاهرة: دار الوفاء للطباعة للنشر والتوزيع.
- ناهد، محمد عبد المقصود (٢٠١٢): التعددية الثقافية وانعكاساتها على قيم طلاب المدارس الأجنبية الدولية، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد ٧٩، الجزء الأول، مايو.
- الهيتي، نوزاد عبد الرحمن، والشمرى، حسيب عبد الله (٢٠١٧): البحث العلمي والتطوير في العالم العربي: الواقع الراهن والتحديات، مجلة المثني للعلوم الإدارية، بجامعة سومر، بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد، المجلد ٧، العدد ٢.
- وطفة، على أسعد (٢٠١٩): التربية في مواجهة الدور الاستلابي للصورة، مجلة مؤمنون بلا حدود للدراسات والبحوث، فبراير .

## ثانيا:المراجع الأجنبية

- Steven C., (٢٠٠٨): Immigrant from the Middle East, a Profile the Foreign-born Population from Pakistan to Morocco, Center for Immigration studies, Access date: ٣٠/٣/٢٠٠٨,p. ١
- David N. ,(٢٠٠٣): The Impact of English as a Global Language on Educational Policies and Practices in the Asia-Pacific Region, The English Center, University of Hong Kong Hong Kong.
- Istvan M., (١٩٧٦): Marx's theory of alienation, Merlin press, London.
- Lukacs,G.,(١٩٨٣) :The young Hegel and origins of the concept of alienation ,Merlin press, translator :Rodney Livingstone.
- Rubin barry, (٢٠١٣): Globalization and The Middle East: part one, A Publication of the MacMillan Cente, Access date: ٢٠١٣/٣/١٦
- Rifai,S. (٢٠٠٧): Scientific Research and Technology Management: An Imperative for the Arab World, WIPO / IDB ,Regional Seminar for Arab Countries on Intellectual Property and Transfer of Technology, Riyadh, Saudi Arabia, ٦-٤June, p. ٦١
- Sarfarem H.,(١٩٩٧): Alienation: A theoretical overview: Pakistan Journal of Psychological Research,Nol.١٢,No..١٢
- The world fact book (٢٠١٩): United States, Central Intelligence Agency Navigation, [http:// www.cia.gov/library/.../the-world-factbook/](http://www.cia.gov/library/.../the-world-factbook/) . ٢٠١٩/٦/١
- Valentine G., (٢٠٠٣) : Eating at home, Sociological review, Vol.٤٧,No..٣
- Visser Margrate(٢٠٠٩): Food and culture, Social research,vol.٦٦,No..١
- Wilson, A.,(٢٠٠٠): The Frequency of temporal-self and social comparison in people, personal appraisals, Journal of personality &social Psychology ,vol.٧٨,No..٥